Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 4, Issue 1 (2025) • P: 82 - 65
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

Islam's view of science

Ms. Amani Saud Khaishan Al-Qurashi
Al-Leith University College | Umm Al-Qura University | KSA

Received: 24/11/2024
Revised: 17/12/2024
Accepted: 12/01/2025
Published: 15/03/2025

* Corresponding author: aman7.saud@hotmail.com

Citation: Al-Qurashi, A. S. (2025). Islam's view of science. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 4*(1), 65 – 82. https://doi.org/10.26389/AJSRP.K271124

2025 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: Islam has exploded scientific energies with its outlook free from forms of superstition and traditional ideas, and with its explicit call for research, observation, contemplation, and its understanding of the laws of the universe (its laws) - using the inductive and analytical method -; Therefore, it was not strange in Islamic civilization to find figures who were famous for their understanding of religion and their knowledge of other sciences, such as chemistry, mathematics, or astronomy.

Keywords: Exercising the mind - the scientific method - obtaining knowledge - astronomy - embryology and medicine - biology and the evolution of creatures - geography and natural phenomena.

نظرة الإسلام إلى العلم

أ. أماني سعود خيشان القرشي
الكلية الجامعية بالليث | جامعة أم القرى | المملكة العربية السعودية

المستخلص: لقد فجر الإسلام الطاقات العلمية بنظرته المتحررة من أشكال الخرافة، ومن الأفكار التقليدية وبدعوته الصريحة إلى البحث والمشاهدة والتأمل واستكناه سنن الكون (قوانينه) -باستخدام المنهج الاستقرائي التحليلي-؛ لذلك لم يكن غريبًا في الحضارة الإسلامية أن تجد أعلامًا اشتهروا بتفقههم في الدين وتبحرهم في علوم أخرى كالكيمياء أو الرياضيات أو الفلك.

الكلمات المفتاحية: إعمال العقل- المنهج العلمي – تحصيل المعرفة- علم الفلك- علم الأجنة والطب- علم الأحياء وتطور المخلوقات- علم الجغرافية والظواهر الطبيعية.

أهمّية الدّراسة:

إن التفكر في خلق الله يعني إعمال العقل من خلال التفكر في جميع ما خلق الله من مخلوقات كونية، كالسماء والجبال والبحار والأرض، والتفكير في كيفية خلق المخلوقات من إنسان وحيوان وكيفية استمرارها في العيش، فمن خلال التفكر يظهر جليًّا أن الله لم يخلق هذا الكون باطلاً، بل خلقه لتسير الحياة وفق نهج معيّن وليختبر الناس في أداء ما هو مطلوب منهم من عبادات، فهم ينظرون إلى ما صنع الله بعقولهم وليس بأبصارهم.

مشكلة الدراسة:

إنَّ إغفال الباحثين عن نظرة الإسلام للعلم وللمعرفة بمجالاتها كافة، فحاجة العصر تقتضي البحث عن العلم والمعرفة، وكذا التفكُّر والتدبُّر والتأمُّل في الكون، فكان لازمًا على الباحثين التسلُّح بالفكر واليقين في التدبُّر والتفكُّر في كلّ مجالات المعرفة للوصول إلى الحقيقة والغاية الأسمى من العلم والمعرفة. فالإسلام يخاطب العقل والمنطق؛ لذا نجد أنَّ الحرية الفكرية التي بسط الإسلامُ سلطانها، ذاتُ دلالة بالغةٍ فيما يخص علاقةَ العلم بالدين.

فرضيات الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤل الآتي:

ما نظرة الإسلام إلى العلوم الطبيعية والكونية؟

وعن هذا السؤال تتفرع عن عددٍ من الفرضيات، منها:

1- ما موقف الإسلام من المعرفة والعلم؟
2- ما مصادر العلوم، وأدوات تحصيل المعرفة في الإسلام؟
3- كيف يكون التفكُّر والتدبّر والتأمّل وسيلة لتطوُّر العلوم في الإسلام؟
4- كيف تجلت نظرة الإسلام للعلوم الطبيعية؟
5- ما رسالة الإنسان في القرآن الكريم والعلم الحديث؟

منهج الدراسة:

اقتضت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي.

الدراسات السابقة:

مما لا شكَّ فيه أن هناك عددٌ من الدراسات التي تناولت نظرة الإسلام إلى العلوم، ومن أبرز تلك الدراسات: دراسة بعنوان: (نظرة الإسلام إلى الإنسان والكون والحياة)، للمؤلف: النجار زغلول راغب، ودراسة بعنوان: (الإسلام والعلم)، للمؤلف: هشام عزمي. ودراسة بعنوان: (لمحات في تاريخ العلوم الكونية عند المسلمين)، للمؤلف: عبد الله بن عبد الله حجازي. غير أن الدراسة تتميز بأنها جاءت شاملة لنظرة الإسلام للعلوم الشرعية والطبيعة وكذلك الكونية؛ وذلك من خلال الاستدلال من القرآن الكريم ومن أحاديث الرسول ﷺ ومن أدلة الله الكونية في ملكوته سبحانه وتعالى.

هيكلة الدراسة: اقتضت طبيعة الموضوع أن تُقسم الدراسة إلى مبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: موقف الإسلام من العلم والمعرفة.

المبحث الثاني: منهج الإسلام في العلم.

المبحث الأول: موقف الإسلام من العلم والمعرفة.

لقد أهتم الدين الإسلامي بالعلم ودعا إلى تحصيله والبحث عنه والاجتهاد في اقتباسه وتعليمه ،والقران الكريم يشير إلى مزية العلم وقيمته وكرامته، ويكفي للعلم وأهلهِ فخرًا أن تكون أول سورة نُزلَ بها القران الكريم وهي تشير إلى العلم وفضله وهي تحوي ست مفردات عن العلم في خمسة آيات، و كانت القراءة أول أمر الهي من الله سبحانه وتعالى كونها تمثل الاساس الذي يبنى عليه العلم ومفتاحه، وتكررت كلمة (أقرَأْ) مرتين في آياتٍ ثلاث... و كلمة (عَلمَ) ثلاث مرات، وإلى القلم مرة واحدة وهو الأداة التي يتعلم بها الإنسان العلم من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ*ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ*ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ*عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ (سوة العلق، آية: 1-5). أن هذا الامر الالهي لنبيه المصطفى محمد ﷺ ونزول جبرائيل عليه السلام بهذه السورة القرآنية المباركة تؤكد حقيقة لا جدال فيها على ان الدين الاسلامي هو دين العلم وثورة علمية حقيقية على الجهل الذي كان سائدا في العصر الجاهلي المتمثل بالتخلف والظلالة والخرافات والاباطيل، وأن تسمى ثاني سورة نزلت من القرآن الكريم بسورة (القلم)، وأن يُقسم الله تعالى في مطلعها بأداة العلم (القلم) يقول تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (سورة القلم، آية: 1)

أوّلا: فريضة طلب العلم:

لقد وردت لفظة (علم) في القرآن ثماني وخمسين مرة، ولفظة (العلم) ثماني وعشرين مرة، ووردت لفظة (العلم مع مشتقاتها) ما لا يقلّ عن خمسمائة وثلاث وثمانين مرة، ومن الآيات التي وردت على سبيل المثال لا الحصر؛ قال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (سورة آل عمران، آية: 18)، مُشهِدًا أولي العلم على وحدانيته وقسطه قارنًا إياهم بنفسه جلّ شأنه وبملائكته. ويقول الغزالي معلِّقًا على الآية الكريمة: "**فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنّى بالملائكة وثلّث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفًا وفضلًا وجلاءً ونُبلًا**". (الغزالي، ج: 1، ص: 5). وقال تعالى في معرض امتنانه على الإنسان: ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ (سورة الإنسان، آية: 2، 3)، وقال الله تعالى مُشهِدًا أهل العلم على أنَّ القرآن هو الحق: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ (سورة سبأ، آية:6)، وقال الله مبيّنًا أنَّ العلماء هم من يخشونه من بين عباده حقّ خشيته، ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ (سورة فاطر، آية :28)، وكلمة إنّما للحصر، فهذا يدلّ على أنَّ خشية الله لا تحصل إلّا للعلماء (الرازي، 1420هـ، ج: 28، ص: 147)، وقد رفع سبحانه من مقام العلماء وشأنهم درجات بقوله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ (سورة المجادلة، آية:11)، وقال تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ (سورة النمل، آية: 40) تنبيهًا منه تعالى لقوّة العلم، وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ**﴾ (سورة القصص، آية: 80) إشارة إلى أنّ عظم قدر الآخرة يُعْلَم بالعلم، وقال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ (سورة العنكبوت، آية: 43)، وقوله تعالى: ﴿**فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ**﴾ (سورة الأعراف، آية: 7). ويقول الرازي أدلّ دليل على نفاسة العلم وعلوّ مرتبته وفرط محبّة الله تعالى إياه، حيث أمر نبيّه بالازدياد منه خاصة دون غيره، (الرازي، ج: 2، ص: 407). بقوله تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ (سورة طه، آية: 114)، وقيل ما أمر الله رسولهﷺ بطلب الزيادة في شيء إلّا في العلم، وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية يقول: اللّهم زدني علمًا وإيمانًا ويقينًا. (الخازن، 1415هـ، ج: 3، ص: 214). وفيه قال قتادة: لو اكتفى أحد من العلم لاكتفى نبي الله موسى عليه السلام، ولم يقل: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾ (سورة الكهف، آية: 66)، وكان لسليمان عليه السلام من ملك الدنيا ما كان، قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي**﴾ (سورة ص، آية: 35)، ثم إنّه لم يفتخر بالمملكة وافتخر بالعلم، حيث قال تعالى: ﴿**وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ (سورة النمل، آية: 16)، فافتخر بكونه عالمًا بمنطق الطير، وقال تعالى: ﴿**وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾ (سورة النساء، آية: 113)، فوصف تعالى نعمة العلم بالفضل العظيم من الله، وقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَٰنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ**﴾ (سورة الرحمن، آية: 1، 2)، فجعل تعالى نعمة العلم مقدَّمة على جميع النّعم، فدلّ على أنّ العلم أفضل من غيره عند الله تعالى. (الخازن، ج: 2، ص: 407).

وأما الشّواهد على فضل العلم من أقوال الرسولﷺ فنقتبس جزءًا من طائفة الأحاديث التي ذكرها الغزالي في الجزء الأول من كتابه (إحياء علوم الدين) تحت عنوان (فضيلة العلم). (الغزالي، ج: 1، ص: 5)، والذي ضمّ كثيرًا من الشواهد العقلية والنقليّة، التي تشير إلى فضل العلم والتعلّم والتعليم؛ قالﷺ: (**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ويلهمه رشده**) (البخاري، 1422هـ، ج: 1، ص: 25)، وقالﷺ: (**العلماء ورثة الأنبياء**) (صحيح البخاري، ج: 1، ص: 24). ومعلوم أنّه لا رتبة فوق النبوّة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة، وقالﷺ: (**يستغفر للعالم ما في السماوات والأرض**) (أبو بكر بن أبي شيبة، 1997م، ج:1، ص: 55) وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السماوات والأرض بالاستغفار له، وقالﷺ: (**تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ**). (أبو بكر بن أبي شيبة، 1409هـ، ج: 7، ص: 190). وفي التفضيل وجهان: **أحدها:** إنَّ التفكُّر يوصلك إلى الله تعالى والعبادة توصلك إلى ثواب الله تعالى، والذي يوصلك إلى الله خير مما يوصلك إلى غير الله. **والثاني:** إنّ التفكُّر عمل القلب والطاعة عمل الجوارح، والقلب أشرف من الجوارح، فكان عمل القلب أشرف من عمل الجوارح. (الرازي، ج: 2، ص: 407). وتأكيدًا من الإسلام على دعوته إلى العلم والمعرفة، كان الأمر بالقراءة هو مستهلّ الدعوة الإسلامية، وكان أوّل ما نزل من آيات القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ (سورة العلق، آية: 1)، وكانت سورة في القرآن باسم سورة القلم والتي أقسم الله فيها بالقلم تعظيمًا وتكريمًا لدوره في العلم والحكمة، قال تعالى: ﴿**ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ (سورة القلم، آية: 1). هذا وإن دلّ على شيء فإنما يدلّ على شعار العلم الذي رفعه الإسلام، والذي تحوَّل به الإنسان من إنسان غارق في مستنقعات الجاهلية إلى إنسان يرفع لواء الحضارة.

وبهذا تكون الدعوة إلى العلم والمعرفة، وإعمال العقل دعوة صريحة بيّنة في القرآن الكريم، سبقت الدعوة إلى العبادة التي هي الغاية من خلق الله الإنسان، لقوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (سورة الذاريات، آية: 56). وبهذا تكون أوّل مَهمّة يُكَلَّفُ بها الإنسان مهمّة معرفيّة، يحملها القرآن في أوّل نزوله على قلب رسول اللهﷺ إذ يطلب منه أن يقرأ، والقراءة طريق العلم والمعرفة وهو بهذا يعلّمه أنّ على الإنسان أنْ يقرأ، ولا بدَّ له أن يتعلّم، ولا بدّ له أن يعلم يقينًا أنّ الذي يعطيه العلم قوة فوق قوته هو خالقه سبحانه.

وبهذا، فالقراءة التي أمرنا بها القرآن ويقصدها الإسلام أعمّ وأشمل وأعمق من القراءة التي تقصدها الدراسات الحديثة، والتي لا تتعدّى قراءة المكتوب لاستيعاب محتواه والاستفادة منه أو تطويره، فالقراءة في الإسلام قراءة لكلّ ما تدركه الحواس -سواء المكتوب أم غير

المكتوب منها- وإذا كان للقراءة الحديثة بُعد واحد وهدف واحد دنيوي مادي وهو السيطرة على الطبيعة وقهرها، فإنّ للقراءة في الإسلام هدفًا آخر أسمى إلى جانب التمكُّن من الطبيعة المسخّرة، وهو تمكين الإنسان من القيام بواجبات الخلافة الأرضية وفق المنهج الإلهي، وهذا هدف ديني خالص وليس دنيويًّا. إنها قراءة تستحثّ الإنسان من أعماقه في عالم الضمير، لأنّها تتّصل بأصل وجوده، بينما القراءة الحديثة هي قراءة تثير الإنسان من خارجه فقط، لهذا فإنَّ القراءة بمفهومها الإسلامي فرض عين، ومن تركها كان مقصِّرًا بحقّ دينه ونفسه، وكان غير جدير بذلك التكريم الذي كرَّمه الله به يوم خلقه.

ثانيا: مصادر المعرفة في الإسلام.

1. الوحي ممثّلًا في القرآن الكريم:

يعدّ القرآن الكريم هو المصدر الأول للمعرفة ولتعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه وتوجّهاته، وهو صالح لكلّ زمان ومكان، ولم يترك شيئًا من الأصول والأسس والمبادئ إلّا تضمَّنه أو أشار إليه مباشرة أو غير مباشرة، والقرآن الكريم هو المصدر الأعلى الصادق، وهو المرجع الأساس والأول في الأصول العقائدية الإسلاميّة، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يخضع للهوى، ومن ثمّ فهو أعلى المصادر، يقول تعالى: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ*نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ*عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ*بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ**﴾ (سورة الشعراء، آية: 192- 195).

2. السُّنة النبويّة الشريفة:

تعدُّ السُّنة النبوية الشريفة البيان المباشر المطابِق للقرآن الكريم، والمصدر الأول لتفسيره، والتي لا غنى عنها في توضيح آيات القرآن الكريم، وبيان أبعاده ومقاصده ومراميه. ويرى الإمام الشافعي -رحمه الله-: أنَّ السنة مثل القرآن في التشريع، فما ثبت في السنة كالذي ثبت في القرآن، وما حرم في السنة كالذي حرم في القرآن، والسبب في ذلك أنهما جميعاً من الله، وبيَّن -رحمه الله-: أن سنة النبي ﷺ هي الحكمة التي قرنها الله مع كتابه في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿**لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ**﴾ (سورة آل عمران، آية: 164). وقال رحمه الله: كل ما سنَّ رسول الله ﷺ مما ليس فيه كتاب، وفيما كتبنا في كتابنا هذا -الرسالة- من ذَكرَ ما مَنَّ الله به على العباد من تَعَلُّم الكتاب والحكمة دليلٌ على أن الحكمة سنة رسول الله ﷺ. ثم بين منزلة السنة من القرآن، وأنها شارحة له مبينة لمراد الله فيها، وأنها قد تستقل ببعض الأحكام؛ وإن لم يرد لها أصل في الكتاب، فقال: مع ما ذكرنا مما افترض الله على خلقه من طاعة رسوله ﷺ، وبيَّن من موضعه الذي وضعه الله به من دينه الدليلُ على أن البيان في الفرائض المنصوصة في كتاب الله من أحد هذه الوجوه:

- منها: ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يُحتج مع التنزيل فيه إلى غيره.
- ومنها: ما أتى الكتاب على غاية البيان في فرضه وافترض طاعة رسوله ﷺ، فبين رسول الله ﷺ عن الله: كيف فرْضُهُ؟ وعلى من فرْضُهُ؟ ومتى يزول بعضه ويَثبُتُ ويُجِبُ؟
- ومنها: ما بينه عن سنة نبيه بلا نص كتاب، وكل شيء منها بيانٌ في كتاب الله. فكل من قَبِلَ عن الله فرائضه في كتابه قَبِلَ عن رسول اللهﷺ سننه بفرض الله طاعةَ رسوله ﷺ على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قَبِلَ عن رسول الله ﷺ فمن الله قَبِلَ لِمَا افترض الله من طاعته، فيجمع القبول لما في كتاب الله، ولسنة رسول الله ﷺ: القبولَ لكل واحد منهما عن الله، وإن تفرقت فروع الأسباب التي قُبِل بها عنهما، كما أحل وحرم، وفرض وحدَّ بأسباب متفرقة، كما شاء جل ثناؤه (الشافعي، 1358م، ص: 32، 33)؛ إذ يقول تعالى: ﴿**لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ**﴾ (سورة الأنبياء، آية: 23).

لذلك يعدُّ مفكِّرو الإسلام هذين المصدرين الأساس الذي يعوّل عليه في خلفية منظومتهم الفكرية والمعرفية لفهم العالم، وفي بيان القرآن بالسنة، يقول الإمام الزركشي: **"اعْلَمْ أَنَّ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ أَبَدًا مُتَعَاضِدَانِ عَلَى اسْتِيفَاءِ الْحَقِّ وَإِخْرَاجِهِ مِنْ مَدَارِجِ الْحِكْمَةِ حَتَّى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُخَصِّصُ عُمُومَ الْآخَرِ وَيُبَيِّنُ إجْمَالَهُ"** (الزركشي، 1376هـ 1ص957م، ج: 2، ص: 129). ولكن أكثر ما يكون بيان السّنة في أمور التشريع والحلال والحرام، فمثلًا الصلاة فسَّر الرسولﷺ أفعالها وأقوالها بفعله قائلًا: **(صلوا كما رأيتموني أصلي)**، (أسامة علي محمد سليمان، 1422هـ، ج: 2، ص: 18). وكذلك الزكاة بيَّن مقاديرها وأنصبتها، والحج بيَّن مناسكه بقوله عليه الصلاة والسلام: **(خذوا عني مناسككم)**. (أبو الأشبال حسن الزهيري، ج: 24، ص: 8).

3. الكون:

إنّ الكون كلّه كتاب الله المشاهَد، وهو مصدر من مصادر المعرفة الإنسانية، فهو يصبُّ المعرفة في الكينونة الإنسانية كما يصبُّها الوحي، مع فارق واحد: هو أنّ المعرفة التي يتلقاها الإنسان بمداركه من الكون، معرفة ظنيَّة غير يقينيّة؛ لأنّها من عمل مدركات الإنسان، أما ما يتلقاه من الوحي فهو الحق اليقين.

فالكون وما فيه من الآيات المخلوقة في الآفاق، والأنفس، وفي قصص الأولين، وكذلك في أخبار التاريخ والحاضر. فطرق اكتساب المعرفة منه هي العقل والإحساس لا سبيلَ بغيرهما؛ قال بعض الباحثين: "ومن هنا فإنَّنا نُخالف ما شاع في كتابات عدد من علماء المسلمين من

اعتبار العقل مصدرًا للمعرفة جنبًا إلى جنب الوحي، ذلك أنَّ معارف الوحي ومعارف الكون لا يُتوصل إليها إلا بفعل التفكُّر والتدبر والتعقل، والعقل ليس عضوًا في الإنسان، بل هو طاقة وقدرة وعمل، ولم يرد في القرآن إلا بصيغة الفعل لا صيغةِ الاسم". (لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجة)، و(بليل عبد الكريم، 2009). والله أمر بالقراءة، وجعل التكليف مُناطًا بوجود العقل، وبلوغه مرحلة التميز، وتعقل الخطاب، والمقروء لم يُعنِه ليشملَ كلَّ ما يقدر عليه الإنسان، مع التزام المنهج الرباني في توجيه ما يقرؤه، فكان له الكتاب المسطور (الوحي)، والكتاب المنظور (الكون)، وفي بيان ذلك كلامٌ يطول، وأدلة لا تحصر، فسنقتصر على آية شاملة، وهي قوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ**﴾ (سورة فصلت، آية: 53). فالمصطلحات المعرفية في الآية الكريمة هي: الرُّؤية (**سَنُرِيهِمْ**) (**ءَايَٰتِنَا**)، والعلامات الموضوعة للاستدلال كموضوع للمعرفة والعلم، (الآفاق والأنفس)، وهي ميدان تواجد الآيات؛ أي: مَحل المعلومات والمعارف (مصدر المعرفة)، وقوله: (**يَتَبَيَّنَ**)حصول العلم بالنَّفس المدركة، (**ٱلْحَقُّ**) بلوغ اليقين من حصول العلم. قال السعدي في تفسير الآية: "فإنْ قُلتم أو شككتم بصحته وحقيقته، فسيقيم الله لكم، ويريكم من آياته في الآفاق، كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يُحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة الدالَّة للمستبصر للحق، (وفي أنفسهم) مما اشتملت عليه أبدانُهم من بديع آيات الله، وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في المكذبين، ونصر المؤمنين (**حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ**) من تلك الآيات، بيانًا لا يقبل الشك (**أَنَّهُ ٱلْحَقُّ**)، وما اشتمل عليه من الحق. (السعدي، 2000م، ص: 752). ولقد دعا القرآن إلى النظر في ملكوت السّماوات والأرض من أجل استنباط حقائق الوجود في هذا الكون. ويمكن القول: إنّ ملامح هذه الدعوة نجدها مبثوثة في عشرات الآيات التي جاء بها القرآن الكريم، وهي تدّل بوضوح على أنّ المنهج الإسلامي بُنية ومنظومة خاصة متكاملة تميّزه عن غيره من المناهج، فلقد خلق الله الإنسان متوافقًا مع فطرته وتكوينه مع هذا الكون، فكلٌّ موجود في هذا الكون هو من خلق الله، ويتلقّى من الله، ويتمتّع بهداه، قال تعالى: ﴿**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾ (سورة طه، آية: 50)، وقوله تعالى: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى*الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ*وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ**﴾ (سورة الأعلى، آية: 1، 3)، وفي هذا التوافق والتناسق والتكامل بين خلق الله جميعًا بما فيهم الإنسان، وردت نصوص قرآنية كثيرة توحي بالوحدة والتضامن والتناسق في طبيعة التكوين وفي الاتّجاه العام، مثل قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا*وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا*وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا*وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا*وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا*وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا* وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا*وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا*وَ أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا*لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا* وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا**﴾ (سورة النبأ، آية: 6، 16)، والقرآن الكريم في تقريره لحقيقة التوافق والتناسق بين الكون والإنسان، قد جعل الكون من بين مصادر المعرفة لهذا الإنسان، وعن الإنسان ذاته، فهو مصدر من مصادر التأمل والمعرفة لذاته، ونجد إشارات كثيرة في التوجّه إلى التلقّي والمعرفة من كتاب النفس المكنون، مثل قوله تعالى: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ*وفِي أَنْفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ (سورة الذاريات، آية: 20، 21)، ومما يُلاحَظ بوضوح في المنهج القرآني كثرة توجيه الإدراك البشري إلى ما في الكون، وما في الأنفس من آيات، وتوجيه هذا الإدراك إلى مصاحبة صنعة الله في الأنفس والآفاق؛ لتُطبع الإدراك الإنساني بخصائص تلك الصنعة: من دقة وتناسق وانتظام، لا خلل فيه ولا تصادم.

4. التاريخ أو (أيام الله) بتعبير القرآن:

التاريخ أو بتعبير القرآن (أيام الله) هو المصدر الرابع من مصادر المعرفة الإنسانية في إطار فلسفة العلم الإسلامية بناء على ما جاء به القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ (سورة الجاثية:14). ذكرت معظم كتب التفاسير في ﴿**لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ**﴾: أي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته، ويقول الألوسي: "الأيام مجاز عن الوقائع من قولهم: أيام العرب لوقائعها وهو مجاز مشهور". (الألوسي، 1415هـ، ج: 13، ص: 144). ولكي يؤكِّد القرآن الكريم على أهمّية هذا المصدر الثري المتمثِّل بتاريخ وقائع الحياة والخبرة الإنسانية في الاهتداء إلى أسرار هذا الوجود، نجده دائم الإشارة إلى تجارب الأمم السابقة، داعيًا إلى ضرورة تُمثِّل هذه التجارب والاستفادة منها. ومن أمثلة هذه الإشارات القرآنية قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ (سورة يوسف، آية: 111). وقوله تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ (سورة آل عمران، آية: 137).

ومن الجدير بالإشارة هنا، أنَّ المفكر الهندي محمد إقبال في كتابه (**تجديد الفكر الديني**)، أكَّد أهميةَ ما أسماه الحاسة التاريخيّة، وعلى التاريخ بوصفه حركة جمعية مستمرّة، وبوصفه تطوّرًا حقيقيًّا في الزمان، وأكد أن عناية القرآن بالتاريخ بوصفه مصدرًا من مصادر المعرفة الإنسانية، تذهب إلى أكثر من مجرد الإشارة إلى تعليمات تاريخية. فقد وضع القرآن لنا قاعدة من أعمق مبادئ النقد التاريخي، وبما أنَّ رواية الحقائق التي تكوّن مادة التاريخ شرط لا غنى عنه للتاريخ بوصفه علمًا، وبما أنَّ رواية الأخبار على وجهها الصحيح متوقّفة على روايتها، فإنّ أول قاعدة من قواعد النقد التاريخي هي القاعدة التي تقرّر أنَّ أخلاق الراوي عامل مهم في الحكم على روايته، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ (سورة الحجرات، آية: 6). إنّ تطبيق المنهج الوارد في هذه الآية هو الذي تطوّرت عنه بالتدريج قواعد النقد التاريخي بمنظورها الإسلامي. (محمد إقبال، 2011م، ص: 232).

وبهذا فمصادر المعرفة تعمل عملًا متوازنًا ومتناسقًا ومتكاملًا في تزويد الإنسان بالمعرفة: فتلقّي المعرفة من كتاب الله المفتوح المتمثل بالآفاق والأنفس، وتلقّي المعرفة من كتاب الله المسطور المتمثل بالقرآن، بالإضافة إلى السُّنة النبويّة الشريفة، وكذلك تلقّي المعرفة من التاريخ (أيام الله) المتمثل بوقائع الحياة وتجارب الشعوب وخبرات الأمم السابقة، لا يقلّ في أهميّته عن المصادر السابقة، فهذه المصادر جميعها تتجادل

وتتكامل في غير تصادم ولا تعارض، فلا يقتضي قيام الوحي – كونه المصدر الأساس للمعرفة - بإلغاء الإدراك البشري، كما لا يقتضي وجود الكون إلغاء هذا العقل أو إلغاء الله سبحانه وتعالى.

ثالثا: أدوات تحصيل المعرفة في القرآن الكريم.

1. العقل:

أ- **العقل في اللغة:** هو الحجر والنُهي، والعاقل هو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، والعاقل هو الذي يحبس نفسه وردّها عن هواها، أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام، وسمي العقل عقلًا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه، وقيل العقل هو الذي يتميَّز به الإنسان عن سائر الحيوان. (اين منظور، ط: 3، 1414ه مادة (عقل)، ج: 11، ص: 458-459). أما المنجد في قاموسه فقد أضاف معاني جديدة للعقل تدلّ على التطوُّر الدلالي للمفردة، لذا نجده يُعرِّف العقل بأنه: **"نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه بالحواس".** (لويس معلوف، ط:19، ص: 520). وهناك كلمات مرادفة في اللغة بمعنى العقل مثل: اللب، الحجر، النُهي، الحلْم، الفكر، أما العقل في الاصطلاح فلا يوجد له تعريف واحد جامع مانع، وقد اختلف العلماء في ماهيته وكنهه وصنعته. (ينظر: الغزالي، ج: 1، ص: 85). هو أداة الاستنباط والكشف، وهو امتياز الإنسان عن الحيوان، وهو مناط التكليف لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (سورة يوسف، آية: 2)، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (سورة البقرة، آية: 164). يقول الغزالي مشيرًا إلى شرف العقل: **"اعلم أنّ هذا ممّا لا يحتاج إلى تكلّف في إظهاره، لا سيَّما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل، والعقل منبع العلم ومطلعُه وأساسُه، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة، والنور من الشمس، والرؤية من العين، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة؟"** (الغزالي، ج: 1، ص: 83).

وإذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأصيل الصادق المهيمن على كلّ مصادر المعرفة الأخرى، فإنه لم يلغِ العقل ودوره في تحصيل المعرفة الإنسانيّة، بل عدّ القرآن دليل هدي ورشد للعقل نفسه، لذلك وجدنا القرآن الكريم لم يلغِ المؤثرات والمعارف التي تتلقاها الكينونة الإنسانية كلها مما حولها في الكون، بل نجد الكثير من الآيات القرآنية التي توجّه الإنسان إلى استخدام عقله لتدبّر آيات الله في كتابه، قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ (سورة النساء، آية:82)، وفي الآفاق وفي الأنفس، قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ (سورة فصلت، آية:53)، وفي حقائق ووقائع الحياة، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا**﴾ (سورة سبأ، آية: 46)، وقوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (سورة الحج، آية: 46).

ب- **محلّ العقل:** هناك خلاف بين العلماء حول محلّ العقل، وقد أشار القرطبي إلى ذلك الاختلاف في تفسيره، قائلًا: "اختلفت الأقوال في محلّ العقل، فقالت طائفة بأنّ محلّه الدماغ؛ لأنّ الدماغ محل الحس، وقالت أخرى بأنّ محله القلب؛ لأن القلب معدن الحياة ومادة الحواس". (القرطبي، 1384ه 1964م، ج: 1، ص: 189). والرأي الراجح: هو أنَّ محلّ العقل هو القلب، لما توفر لها من الأدلة القرآنية التي تشير صراحة إلى هذا الرأي، واجتمع عليه غالبية العلماء والمفسّرين، يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (سورة ق، آية: 37) أي لمن كان له عقل، أطلق على العقل اسم القلب؛ لأنَّ القلب محلّه العقل، (ابن كثير، 1419م، ج: 7، ص: 382) وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (سورة الحج، آية: 46)، ومن الآيات التي تشير –أيضًا- إلى أنَّ محل العقل هو القلب؛ قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ (سورة البقرة، آية: 7)، وقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ (سورة البقرة، آية: 10)، والقلب محلّ العلم والمعرفة لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ*عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (سورة الشعراء، آية :193-194)، قال القرطبي في تفسير هذه الآية: "وخصَّ القلب بالذكر ؛ لأنّه محلّ العقل والعلم وتلقي العلوم". (القرطبي، ج: 1، ص: 189). والآيات القرآنية وأقوال العلماء والمفسّرين الدالة على أنّ محل العقل هو القلب كثيرة لا يتّسع المجال لذكرها.

ج- **فضل العقل في القرآن الكريم:** وردت مشتقّات لفظة (العقل) في القرآن الكريم تسعًا وأربعين مرة، وورد لفظ (تعقلون) أربعًا وعشرين مرة، ولفظ (عقلوه) مرة واحدة، وكذلك لفظ (يعقلها) مرة واحدة، ولفظ (يعقلون) ورد اثنتين وعشرين مرة، أما لفظ (العقل) فلم يرد مصدرًا على الإطلاق، وكلّ ما ورد هو بالصيغة الفعليّة، ولكنه جاء بصيغة اسمية في المرادفات التي استخدمها بمعنى العقل كاللبّ والحجر والنُهي. لم يتحدّث القرآن من حيث ماهيته وكنهه، بل من حيث الوظيفة التي يقوم بها؛ كالتذكُّر والتفكُّر والتدبُّر والتعقل، وقد عاب القرآن على من يعطلون هذه الوظائف؛ لأنها هي الموصلة للإيمان بالله تعالى.

2. الحواس:

تعدّ الحواس الخمس في القرآن هي من أدوات اتصال الإنسان بالعالم المحسوس وتحصيله للمعرفة، فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وكرّمه بأن جعل له عقلًا وحواسًا يتّصل عن طريقها بالعالم، وجعل لكلّ حاسة دورًا مُهمًا في العلم والمعرفة، فالعلم يدخل أولًا عن طريق الحواس؛ لأنَّ العقل يطّلع على الوجود المادي بواسطة الحواس الخمس، التي تزوّده بالمعلومات المرئية والصوتية والذوقية والشميّة واللمسيّة، والتي لولاها لما اتّصل العقل بالواقع المادي المحسوس ولما حصل على مدخلاته، فالسمع والبصر وبقية الحواس هي المنافذ المفتوحة التي يطل منها العقل على الوجود وبواسطتها يميّز بين الأشياء.

وقد أشار القرآن الكريم إلى حواس الإنسان وملكاته المعرفيّة في مواطن كثيرة؛ فنجد إشارة إلى حاسة اللّمس، في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ**﴾ (سورة الأنعام، آية: 7)، وإلى حاسة الذوق، في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ**﴾ (سورة الأعراف، آية: 22). وإلى حاسة الشم، في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ**﴾ (سورة يوسف، آية: 94)، وذكر تعالى السمع والبصر والفؤاد في مواطن كثيرة، منها: قوله تعالى ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (سورة النحل، آية: 78)، وقوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (سورة الحج، آية: 46).

والإنسان يأتي إلى الحياة الدنيا ليس معه من العلم شيء، ويبدأ باكتساب معارفه وعلومه التي تلزمه لحياته وإعمار الأرض، بواسطة ما جعله الله له من السمع والبصر والفؤاد، لقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (سورة النحل، آية: 78)، وقد ذكر الله السمع والأبصار دون بقية الحواس اكتفاءً بذكر الأهم منها. وفسَّر الزمخشري (جعل) التي في الآية بمعنى "وما ركّب فيكم هذه الأشياء إلّا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به". (الزمخشري، 1407هـ، ج: 2، ص: 624).

نستنتج من الآية السابقة أنَّ للإنسان نوعين من أدوات تحصيل المعرفة: نوع ظاهر متمثل بالحواس، ونوع باطن هو العقل. ولما لهذه الأدوات الظاهرة والباطنة من الأهمّية البالغة في تحصيل المعرفة، فقد ركّز القرآن الكريم على عدم تعطيلها وحسن استخدامها وحمَّلنا مسؤولية ذلك، إذ يقول تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ (سورة الإسراء، آية: 36)؛ لأن ذلك هو الطريق الذي يؤدّي إلى المعرفة الحقيقيّة. فضلًا عن أنَّ القرآن لا ينظر إلى الحواس مجرد أجهزة فحسب، بل يعدَّها وسائل إدراك ووعي وتمييز، وبهذا فإنَّ القرآن الكريم يقيم منهجًا علميًّا متكاملًا في إدراك المعرفة الإنسانية.

وبهذا تكمُن عَظَمة هذا المنهج الإسلامي في أنه منهج تجريبي عقلي في آن واحد، ويعدّ الإنسان بكامله، بحواسه وعقله وإرادته وبصيرته وحده، هو الوسيلة الأولى والأخيرة لتحصيل المعرفة العلميّة، وما يستخدمه من أجهزة لتعزيز قدراته وإمكاناته كالمجاهر الإلكترونية التي يستخدمها لتعزيز حاسة الإبصار، مثلما استخدم سماعة الطبيب لتعزيز حاسة السمع، والترمومترات الحرارية لتعزيز حاسة اللمس، والحاسب الآلي ليساعد العقل في إجراء العمليات الحسابية والتخطيطية المعقّدة وتخزينها. إنَّ استخدام الإنسان لهذه الأدوات لا يعني تغيُّر وسائل الإدراك البشرية التي زوَّده الله بها، بل هي تعزّز من قدرتها فقط، ويستمرّ تطوّر هذه الأجهزة والأدوات العلمية كلّما تطوّر العلم، ولكنّه يبقى في الوقت نفسه مرتبطًا بأصولها الثابتة كما خلقها الله سبحانه وتعالى في الإنسان. (ينظر: أحمد فؤاد باشا، ديسمبر، 2019م).

التَّفكير العلمي وإعمال العقل:

كان القرآن الكريم المحرِّك الأول والباعث الرئيس لتأسيس المنظومة المعرفية الإسلامية التي نشأت وازدهرت بفضل الروح العلمية القائمة على النظر والتفكر والتدبّر في مواضع كثيرة، إذ يتميَّز القرآن الكريم بدعوته إلى إعمال العقل والنظر والتدبُّر والتفكُّر في ملكوت السماوات والأرض، والحثّ عليها في مواضع كثيرة، وهذه الميزة للقرآن الكريم بيّنة واضحة لا يختلف فيها اثنان. وقد لفت القرآن نظر الإنسان إلى الكون بما فيه من مخلوقات حيّة وغير حيّة؛ من حيوانات ونباتات وجبال وأنهار وأشجار وأحجار وكواكب ونجوم وليل ونهار، واحتوى في ذكره لهذه الموجودات بعضًا من صفاتها وخصائصها. (العقاد، 2002م، ص: 7).

والقرآن الكريم إذ ينوّه بإعمال العقل والتعويل عليه في أمر العقيدة، لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه ووجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي إشارات القرآن إلى إعمال العقل عارضة أو مختصرة أو ضمنيّة في سياق الآيات القرآنية، بل تأتي في كلّ موضع من مواضعها مؤكَّدة باللفظ والدلالة، وتتكرَّر في كلّ معرض من معارض الأمر والنهي التي يحثّ فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يُلام فيها المنكر على إهمال عقله وتعطيله، كما أنَّ تكرار الإشارة إلى العقل لم تأتِ بمعنى واحد من معانيه، بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها، وتتعمّد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته، (العقاد، ص: 5). فالله تعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿**أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ*وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ*وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ*وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾ (سورة الغاشية، آية: 17،20)، و﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ**

يَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة، آية: 164)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ*الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة آل عمران، آية: 190، 191). عندما نزلت الآية السابقة بكى رسول اللهﷺ حتى ابتلَّت لحيته، وقال: "وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا". (الرازي، ج: 9، ص: 458)

بهذه الآيات وغيرها الكثير دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التأمُّل والتفكير في كلّ ما يقع عليه البصر وتدركه البصيرة، وأكّد حقيقة أنَّ التفكير فريضة كسائر الفرائض الإسلامية، وأنّ العقل الذي يخاطبه الإسلام -كما يقول العقاد في كتابه (التفكير فريضة إسلامية)- هو العقل الذي يعصم الضمير، ويدرك الحقائق، ويميّز بين الأمور ويوازن بين الأضداد، ويتبصّر ويتدبّر، وأنّ إعمال العقل والتفكير فريضة وأمر من أوامر الخالق. (ينظر: العقاد، ص: 15).

ولقد شدَّد القرآن أيضًا على ضرورة تخطّي العوائق والموانع التي تعيق التفكير، والتحرّر من القيود التي تكبّل العقل وتؤدّي إلى جموده، وحارب القرآن جميع هذه الموانع التي تعطّل العقل واستقصاها جميعها، كما استقصى خطاب العقل بجميع وظائفه وملكاته. (ينظر: العقاد، ص: 19، 20). وبهذا يكون القرآن قد حرَّر عقل الباحث من كلّ معوقات التفكير والبحث العلمي، واستنكر القرآن الكريم عدم التفكير، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (سورة محمد، آية: 24)، وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (سورة الأعراف، آية:179)، أي أنَّ عدم التفكير وامتناع الإنسان عن استعمال مدركاته الحسيّة يُلحقان الإنسان بالحيوانات، بل يصبح هو أضلّ منها، لأنَّ الحيوانات لم تعطّل ما منحها الله من وسائل للحس والتفكير. (ينظر: العقاد، ص: 20).

وقد اهتمّ القرآن بالإدراك البشري وإيقاظه، وتقويم منهجه في النظر، وحثّه للعمل، وإطلاقه من القيود، وصيانته من التبديد في غير مجاله، وما من دين فعل ذلك كما فعله الإسلام. قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة العنكبوت، آية: 20)، وقوله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة يونس، آية: 101)، وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سورة فصلت، آية: 53). فما من دين وجَّه النظر إلى سنن الله في الأنفس والآفاق، وإلى طبيعة هذا الكون وطبيعة هذا الإنسان، وإلى طاقاته وخصائصه الإيجابية، وإلى سُنن الله في الحياة البشرية وفي مصائر مَنْ قبلهم ودلالتها التاريخية، ووسّع على الإدراك في هذا كلّه كما وسّع الإسلام، ومن البَدَهي أن يرافق الدعوة إلى التفكير إقبال على العلم، أي على جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السماوات والأرض، ذلك أنَّ التفكير لا يمكن أن يكون مستقيمًا صحيحًا إلا إذا قام على معرفة صحيحة، فالتفكير وطلب العلم صنوان لا يفترقان. (العقاد، ص: 60).

المبحث الثاني: منهج الإسلام في العلم.

إنَّ العقل الأداة الكبرى للمعرفة لدى الإنسان، ويتفرّع عنه التفكير، والإرادة، والاختيار، وكسب العلوم؛ لذلك كان الإنسانُ مسؤولاً عمّا يصدر عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (سورة الإسراء، آية: 36). وعدّ القرآن الكريم الإنسانَ الذي يعطل حواسه وعقله أضلّ من الأنعام والحيوان؛ لأن لديه وسائل المعرفة، لكنه عطلها عما خلقت له. قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنفال، آية: 22). وقد تعدّدت الآيات القرآنية صراحةً وإشارةً في مخاطبة العقل، ودعوته للتفكير، والنظر والبحث في الكون، وجعل التفكير فريضة إسلامية. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (سورة آل عمران، آية: 191). وهناك آيات كثيرة تثيرُ العقلَ وتحثّه، وتؤدي بالعقل إلى الإيمان بالله تعالى، واليقين بأنّه الخالق المدبر، وبالمقابل إذا فشل العقل في أداء هذه الوظيفة فقد وجوده، وسلب الإنسان إنسانيته، وهذا ما أكّده القرآن الكريم بنفي العقل عن الكفار، وحكم عليهم بأنّهم لا يعقلون، وذلك لعدم الاستفادة من السمع والبصر للانتفاع من آيات الكون التي تنطِقُ بوجود الله تعالى، وتوجب طاعته، وعندئذٍ ينسلخ الكافر من إنسانيته، ويتساوى بالحيوان ثم ينحدر عنه، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا*أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (سورة الفرقان، آية: 43- 44).

أوّلا: رسالة الإنسان في القران الكريم والعلم الحديث:

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ووهبه القوى الجسدية والعقلية والحسية والنفسية التي تجعله قادرًا على القيام بالرسالة التي خلق من أجلها على هذه الأرض، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة وفضله على كثيرٍ من خلقه، وسخّر له كل ما في هذا الكون ليعمّر الأرض ويبني الحضارة ويرتقي بالحياة البشرية بفكره وعلمه وعمله، يقول الله تعالى في محكم آياته: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ (سورة الملك: آية: 23)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (سورة الإسراء، آية: 70). فالإنسان مؤهّل بفضل هذه الملكات التي منحها الله له لتلقى العلم واكتساب المعارف والقيام بالعمل لتعمير الكون من حوله، فهو كائن ناطق عاقل ومفكر، يدرك الأشياء وينفعل بالأحداث ويشعر بالألم، ويتمتّع بالسعادة في الحياة وهو

دائم يراقب ويتأمّل ويتدبّر حاجاته، وينظّم علاقته مع الآخرين من بني جنسه، ويملك القدرة على التميز والاختيار بين ما يحقّق له السعادة ويبتعد عن ما يسبّب له الألم والمعاناة، وهذا ما يدفعه إلى التفكير والتأمل والعمل كي يحرز التقدم، ويصف العالم الأمريكي (أيرفن تشايلد) الإنسان بأنه قوة واعية، وهذه هي نقطة الانطلاق، فهو يجرب ويقرّر ويتصرف. (روبرت م. أغروسي، وجورج ن سنسانسيو، 1989م، ص: 86). وهذا مصداقًا لقوله عزَّ وجل: ﴿**الرَّحْمَٰنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الْإِنْسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ (سورة الرحمن آية: 1، 4)، وقوله تعالى: ﴿**عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ (سورة العلق، آية: 5). فالإنسان كما خلقه الله يمثّل القوة الفكرية المحرّكة والفاعلة في هذا الوجود، وإذا استيقظ العقل الإنساني وفكر بمنطق سليم ومنهج علمي وضمير حي في الظواهر الكونية والاجتماعية مثل هذا التفكير يؤدي إلى حدوث نهضة حضارية تظهر آثارها في تقدّم العلوم وتطوّرها، ومناهج البحث التي تسعى إلى اكتشاف الحقائق التي تتكون منها الظواهر وتنظيم العلاقات بينها بوضع القوانين العلمية والوضعية معًا.

تحقّقت النهضة العلمية في الحضارات القديمة، ومنها المصرية والبابلية واليونانية والصينية، ولكن جميع هذه الحضارات جمّدت عند حدٍّ معيَّن من العلم والمعرفة، ولم تستطع أن تتجاوزه، وعجز العلماء آنذاك عن كسر ذلك الجمود، واكتشاف آفاق جديدة للعلم، ووضع نظريات تعطي تفسيرًا لكثيرٍ من الظواهر، ليس ذلك وحسب، بل إنّ بعض النظريات التي كان مسلّمًا بصحتها لقرون عديدة أثبت علماء المسلمين أنها خاطئة وغير صحيحة، ووضعوا نظريات جديدة ما زال العلم الحديث يأخذ بها. (توبي أ. هاف، ص: 72، 74)، ومن أبرز الأمثلة على ذلك: تعتبر نظريّة مركزيّة الأرض مثالًا آخر على النظريّة العلميّة الّتي ثبت خطؤها، وهي الاعتقاد بأنّ الأرض كانت مركز الكون، وأنّ جميع الأجرام السماويّة الأخرى تدور حولها، ونظرية دوران للنشوء والارتقاء.

وقد أسهب المؤرخون للحضارات القديمة في ذكر أسباب جمودها، إلّا أنّ السبب الأساس الأصيل الذي أدَّى إلى تخلف وجمود تلك الحضارات، هو اعتماد العلماء فيها اعتمادًا شبه مطلق على العقل الإنساني للبحث في أسرار الكون وظواهره، (كرين برنتن، 1965م، ص: 72، 74). والعقل البشري بطبيعته وتكوينه محدود من حيث الزمان والمكان، فهو عاجز عن اكتشاف آفاق المستقبل وما يقع من أحداث وتطوّرات، وقد نبّه الحق جلَّ شأنه عباده إلى ذلك، وحذّرهم من الوقوع في خطأ الغرور بقوتهم، فقال تعالى: ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلا**﴾ (سورة الإسراء، آية: 85)، وقوله عزَّ وجل: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ*فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ (سورة غافر، آية: 82، 83).

ولقد استمرّ الجمود العلمي في الحضارات السابقة على الإسلام لقرون طويلة تقرب من ألف عام، أي منذ العصور الوسطى حتى أوائل العصر الحديث، ولم يُقدَّر للعلم والمعرفة أن ينهضا من جديد على أسس منهجية ومتطوّرة قادرة على اكتشاف النظريات والقوانين العلمية الحديثة إلّا بفضل النهضة العلمية الشاملة التي تحقّقت في ظل الحضارة الإسلامية. (قدري حافظ طوقان. 1990م، ص: 13). فالباحث المحقّق والمدقّق إذا تدبّر القرآن الكريم بفهمٍ وفكرٍ وعقلٍ، فإنه سيقف على إشارات تومئ إلى حقائق العلوم وإن لم تسمّ بأسمائها، واحتوائه على هذه العلوم يأتي آية له كلما انتشر العلم بين الناس وحجة على أهل العلم كلما اخترقوا أستار الطبيعة وكشفوا حقائق الموجودات.

ثانيا: منهج الإسلام في العلوم:

1- **تعريف المنهج:** هو "خطة منطقية لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها" (مجمع اللغة العربية، 1983م، ص: 195)، أو "هو الطريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة، بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدّد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة". (عبد الرحمن بدوي، 1963م، ص: 5). إذن فالمنهج يساعد على كشف الحقائق الكونية وربط ظواهرها بعضها ببعض، وصولاً إلى القانون العلمي الذي ينقلنا إلى المعرفة اليقينية.

وقبل نزول القرآن لم يكن الأمر هكذا، بل كانت الخرافات وقوى الطبيعة هي المسيطرة على الفكر آنذاك. ولكن بنزول القرآن قوَّض هذه المعبودات وجعلها من المسخرات التي يجب البحث فيها، ومن هنا بدأ المنهج يأخذ طريقه الصحيح حتى العصر الحاضر. يقول وحيد الدين خان: **"فإنه لما جاء الإسلام أحدث انقلابًا عظيمًا في الفكر، فصار الناس يعتبرون هذه المظاهر الكونية مظاهر مادية، وأصبحت هذه المظاهر موضوعًا للبحث والتنقيب والتحليل لا موضوعًا للعبادة والتقديس، فكانت هذه الثورة الفكرية فاتحة عصر العلم والتكنولوجيا".** (وحيد الدين خان، 1405هـ 1984م، ص: 47). ونتيجة هذا الانقلاب أصبحت حقائق الكون مكشوفة ومعطاءة للبحث العلمي، كما أصبحت ذات دلالة علمية وحقيقة كونية. وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ منهج القرآن يهدف إلى إحداث التوازن والتكامل في الحياة البشرية نظرًا لشموليته، فعندما يتحدّث عن المعرفة الروحية، فإنّه يأخذ القلوب أخذًا جميلاً تطمئن إليه، (منتصر محمود مجاهد، ص: 55). يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (سورة الحديد، آية: 28).

2- خصائص المنهج الإسلامي:

2-1 النظام الكوني: نظرًا لأهمية الميتافزيقا في البحوث الفيزيائية المعاصرة واختلاط الأمر بالنسبة لها، وذلك عندما أدخلت في عالم الغيب

عامةً دون تفرقة بين ما يقبل البحث العلمي ما لا يقبله، هذا الأمر يدعونا إلى أن نقف مع علم الغيب قبل الحديث عن النظام الكوني في عالم الشهادة.

أ- **علم الغيب**: ينقسم علم الغيب إلى نوعين:

1. بالنسبة لله تعالى ليس هناك غيب، فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور سواء على مستوى علم الغيب أو علم الشهادة، قال تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ (سورة السجدة، آية: 6)، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ (سورة يونس، آية: 61). فهذه بعض الأدلة التي تبيّن أنَّ الله تعالى لا يغيب عنه شيء، فعلمه بالأشياء علم مطلق. يضاف إلى هذا الأمور الغيبية التي أخبر عنها القرآن والتي نسلّم بها عن طريق الخبر المتواتر لدينا، فمصدر المعرفة فيها الخبر المنزل.
2. **الغيب بالنسبة للبشر**، نوعان هما:

2-1: الغيب المطلق: الذي لم يستطع البشر أن يدركوه إلّا عن طريق ما أخبر لهم من أوصافه في المتواترات والآيات الدالة على وجوده في هذا الكون، وهذا الغيب يشمل: **الله تعالى والملائكة واليوم الآخر والموت**... وهذا الغيب لا يخضع للتحقيق التجريبي أو وسائل البحث العلمي؛ لأنه فوق مستوى العقل البشري.

2-2: الغيب النسبي:

- **الميتافزيقا العلمية** مثل: الذرة والكهرباء والجاذبية وغير ذلك. فأنها غيب بالنسبة للبشر علم بالنسبة لله تعالى، **إلا أنها احتمالية الغيب بالنسبة للبشر لماذا**؟ لأنه ربما يأتي اليوم ليكشف العلم عن هذه النظريات. فتصبح واقعًا تجريبيًا مدركًا بالوسائل الحسية والعلمية.
- **الغيب باختلاف الزمان والمكان:** وهو ما يعرفه البعض دون البعض الآخر، وذلك مثل: المشرف على الكنترول يعرف الطالب الناجح والناجح لا يعرف نفسه إلا بعد ظهور النتيجة، فكانت النتيجة علم للمشرف غيب للطالب. إذن فالعلم بالغيب نسبي ومطلق، فهو مطلق بالنسبة لله تعالى ونسبي بالنسبة للبشر، وهذا ما يتعلق برقم (2) الغيب النسبي. أما الغيب لرقم (1) الغيب المطلق لا دخل للبشر فيها إلا بما دلت عليه الأدلة من القرآن أو الكتب السماوية الصحيحة. **ولنا أن نسأل أيهما يخضع للسؤال كيف؟ أو غيره من الأسئلة التي توجَّه كبحث علمي**، وفي الحقيقة إنّ الغيب المطلق لا يخضع للسؤال كيف أو غيره للإجابة عنه؛ لأن الخالق له من صفات العلم والقدرة والكمال ما ليس للمخلوق من هذه الصفات إلّا نسبيتها فقط. وبهذا لا يجوز البحث في هذا الجانب؛ لأن البحث فيه لم يحقق نتائج، وفي الوقت نفسه فيه إرهاق للذهن مع عدم الوصول إلى شيء في ذلك. أما الذي يتطلب البحث فيه فهو **الميتافزيقا العلمية** وغيرها من المتغيرات والمسخرات في هذا الكون للإنسانية، لكي تكشف عن سنن الله الكونية، وليس شرطًا أن يصل فيها العلم إلى شيء. إنما المقصود قابلتها للتحقيق التجريبي المباشر أو غير المباشر. (منتصر محمود مجاهد، ص: 48).
- **عالم الشهادة:** هو العالم الخارجي أو عالم الوجود المشاهد المخلوق بتدبير بحكمة إلهية، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (سورة الأنبياء، آية: 33)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة فصلت، آية: 9). فهذه الآيات تبين الارتباط الوثيق بين الألوهية وحقيقة خلق الكون الذي وجد بعد أن لم يكن؛ لأن الله كان ولم يكن شي معه، كما لكل حادث لا بد له من محدث يخرجه من العدم إلى حيز الوجود، يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (سورة الزمر، آية: 62)، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة النحل، آية: 3).

وإذا كان الله هو الخالق فإن المخلوق يخضع لخالقه في كل شيء، فضلًا عن الثبات الذي هو امتداد للنظام الكوني والذي يضمن للحياة خاصية الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت، كما يعطى ميزة التناسق مع النظام الكوني العام، وهذا الثبات ليس معناه أنّ الكون في تجمد، بل هو في حركة دائمة وفي تغيّر دائم وتطوّر دائم وفي تشكُّل مستمر في كل لحظة، ولكنه يتحرك مع استيفاء حقيقته الأصلية. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ (سورة الرحمن، آية: 29)، فالنظام الكوني يسير وفق خطة معينة يحكمه **الانسجام أو التوافق** وهو ليس عماء، بل محكومًا بقوانين تعمل على منوال ثابت. (صلاح قنصوة، 1987م، ص: 156). وهذا ما يجعل الجمال في النظام الكوني باهرًا، لا يقف عند حدود التناسق والتوافق والنظام والانتظام، فالتوافق والتناسق فيه يتجهان إلى الكمال والجمال والحسن والزينة، فعنصر الجمال في النظام مقصود قصدًا في بناء الكون. (منتصر محمود مجاهد، ص: 49). وهذا ما نراه في الانسجام الدقيق بين حركة الكواكب وغيرها. قال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ* وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾ (سورة الملك، آية: 3، 5).

فهذه الحقائق الجمالية والتناسقية عنصر أساس في النظام الكوني، توحي إلى قلب المؤمن بالاطمئنان إلى هذا الكون الذي يعيش فيه بالسلام معه ومع الأحياء، فلا يجيش فيه القلق لشيء من الظواهر الكونية. (عبد الفتاح الديدى، 1987م، ص: 6). فإذا حدث قلق في قلب

المؤمن من ناحية خرق بعض السنن التي جرت العادة على رؤيتها في نظام تام، فإنه يفزع إلى ربه رادًا كل شيء إلى إرادة الله تعالى المطلقة فيطمئن قلبه، (منتصر محمود مجاهد، ص: 50). يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (سورة يس، آية: 82)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة آل عمران، آية: 40)، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (سورة الأنبياء، آية: 68، 69). وإذا كانت هذه الآيات تبيّن تعطيل السنن الكونية في بعض الأحيان، **فما هو سبيل الموازنة في الكون؟** قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (سورة الحديد، آية: 22، 23)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة التوبة، آية: 51). هذه الوقائع الإحصائية هي التي تعطي الموازنة للتغيُّر في السنن الكونية التي تخضع لإدارة الله عزَّ وجل، وذلك ما يبرز لنا صفة مميّزة للمنهج القرآني عندما يحدث خلل في السنن الكونية، فإنّ الباحث يرتد إلى أصل ثابت، بخلاف أي منهج آخر فإنه عندها يرتد دائمًا إلى المطلق، يضاف إلى هذا أنّ التغيرات التي تحدث للكون ليس للكون دخل فيها؛ لأنه طائع لربه في كل حركاته وسكناته (منتصر محمود مجاهد، ص: 50). يقول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (سورة الإسراء، آية: 44)، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (سورة الرعد، آية: 15)، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (سورة فصلت، آية: 11). فهذا الكون لا دخل له بما يحدث فيه لأنه مطيع ومسبح لله عزَّ وجل، فكل سننه وقوانينه ملازمة لِكنْ فيكون، وليست للقوانين العلمية التي توصَّل إليها البشر. ولكن عندما يظن العلماء بأنّ ما وصلوا إليه من قوانين أصبحوا قادرين على التحكم في الكون بما فيه فهذا إيذان بقرب النهاية. يقول الحق عزَّ شأنه: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة يونس، آية: 24). فالكون باقٍ على نظامه فلا يحدث فيه الخلل إلّا عندما يأخذ العلم للتزيين والترف والاستعلاء في الأرض بغير حق. فمنذ ذلك تحدث التحوّلات قبل نهايته من النظام إلى الخلل، بكثير من الآيات تدلّ على نهاية الكون منها، يقول الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ* وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ* وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ* وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (سورة الانفطار، آية: 1، 4)، وقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ* وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ* وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (سورة التكوير، آية: 1، 4). وهذا ما يدلّ على نهاية الكون وبداية عالم الآخرة. **إذن ما الذي يخضع للبحث العلمي في النظام الكوني؟** مجموعة المتغيرات داخل الكون والمسخرات، وبالجملة كل ما يندرج تحت التسخير الكوني وما تحتاجه الخلافة الإنسانية. وهذه الأمور أي المتغيرات والمسخرات تعطي بعطاء الإنسان لها أو حسب ما ينفعل الإنسان معها يكون عطائها. أما الثوابت فهي تعطي بدون تدخل للإنسان فيها، وللعلماء أن يأخذوا منها العبرة والعظة والنظريات الدالة على بديع الصانع. وليس معنى هذا أن هناك انفصالاً بين الثوابت والمتغيرات، بل يوجد بينهما ارتباط ضروري وعلى الإنسان أن يكتشف هذا الارتباط. (منتصر محمود مجاهد، ص: 51).

ثانيًا التوحيد:

إنّ الإنسان بفطرته لا يملك أن يستقرّ في هذا الكون، فلا بدّ له من رابط معيَّن يضمن له الاستقرار ومعرفة مكانه في هذا الكون، إذن فلا بد له من عقيدة ما تفسّر له ما يدور حوله وتفسّر له مكانه، فهي ضرورية فطرية شعورية. (منتصر محمود مجاهد، ص:52). هذه العقيدة هي التي تعطي الاستقرار الضميري توضّح له الطريق المستقيم، يقول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الملك، آية: 22)، وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة آل عمران، آية: 18). فالوحدانية هي التي تجمع البشر حول إله واحد وفي ذلك توحيد اتجاههم، أما تفرّق الآلهة فمعناه تفرّق البشر وذهاب كل فريق إلى تعصب أعمى، وفي ذلك فساد للنظام وخسارة للبشرية، كما أنّ التوحيد يحرّر الفكر البشري من الخضوع لغير الله، (منصور حسب النبي، 1991م، ص: 47). وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ* أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ* لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (سورة الأنبياء، آية: 19، 22)، وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (سورة المؤمنون، أية: 91)، فالإقرار بشهادة أنّ لا إله إلا الله تتطلب أن يصل الإحساس بوجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته حد اليقين الناشئ من مثل الرؤية والمشاهدة، فهي رؤية ومشاهدة لهذه الحقيقة بآثارها في أغوار النفس المكنونة، وفي صفحات الكون المنشورة رؤية واضحة ومشاهدة مستيقنة تقوم عليها شهادة التوحيد؛ لأن الإنسان أينما ولّى وجهه وجد آثار الوحدة ومظاهرها ودلائلها، بشرط أن تكون النظرة العلمية مجردة من الوهم والهوى والخطأ. (منتصر محمود مجاهد، ص: 52). وما كشفه العلم الحديث من نظريات وقوانين سواء اتجهت إلى الوحدة أو لم تتجه، فإنها تقيم البرهان على وجود الله تعالى وتزيد من دلائل وحدانيته ظهورًا وتأكيدًا، فالكل يسير وفق القانون الإلهي العام الأعظم. (عبد العليم عبد الرحمن خضر، ص: 129). وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ (سورة النمل، آية: 93). وعلى الرغم من وجود الآيات والبراهين التي تدلّ على وحدانيته إلا أنهم لم يفلحوا في إعلان

الوحدانية لله تعالى. ظنًا منهم بأن ما وصلوا إليه من العلم يستطيعون به أن يسيطروا على الكون وما فيه وأنهم قد أمسكوا بزمام الأمور، وأنه سوف يأتي اليوم الذي يخضعون فيه كل الغيبيات للتجربة فأدخلوا وجود الله تعالى في هذه القضية، وهذا خطأ؛ لأن العلم ليس في مقدوره هذا، فكل الذي يستطيع أن يفعله العلم هو استنباط القوانين لعالم موجود ولكنه يقصر على اكتشاف مبدع القوانين وصانعها الأوحد، فالمظاهر الجليلة للجاذبية والكهرباء قد أصبحت معلومة إلّا أنّ كنهها لم يقف عليه البشر؛ لأن قصور العلم عن حل الحياة هو قصور مطلق، وهذه حقيقة مزعجة لولا الإيمان.

فالإيمان بالله هو الذي يجعل القلوب مطمئنة لما يحدث حولها من تغيير في السنن الكونية؛ "لأن الكون يخضع لإرادته ومشيئته النافذة لا مشيئة العباد، لأن إرادته كونية قدرية خلقية وهي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات وهي المذكورة فيما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن. (علي محمد الحنفي، 1982م، ص: 117). قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ (سورة يس، آية: 82)، وقوله تعالى: ﴿**وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ (سورة البقرة، آية: 253). فإرادته وقدرته شاملة لجميع المقدورات لا يجوز خروج مقدور عن قدرته. (الإمام الشافعي، الفقه الأكبر، 1406هـ، ص: 30). فهذا المطلق التوحيدي يعطي العلم ومنهجه مفهومًا أوسع وأشمل من غيره. فضلاً عن التوازن بين المتغيرات في السنن الكونية؛ لأن أشرف العلم ما كان دالًا على الله سبحانه وتعالى وموصلاً إلى معرفته وتوح يده. (محمد بن صامل السلمي، 1988م، ص: 27). كما أنّ العبد "لو عرف كل شيء ولم يعرف ربه، فكأنه لم يعرف شيئًا، ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها ولم يظفر بمحبة الله، والشوق إليه، والأنس به، فكأنه لم يظفر بنعيم ولا قرة عين" (ابن القيم، ص: 68)، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا*ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ**﴾ (سورة النجم، آية: 29، 30). إذن مقتضى العلم ومنهجه في القرآن هو شهادة أن لا إله إلا الله، وبذلك يكون الإقرار بالألوهية نقطة الانطلاقة الأولى للبحث في ضوء القرآن الكريم؛ لأن الباحث عندما يطبّق منهجه ويحدث خلل أو اضطراب بالنسبة للسنة الكونية التي تحت الدراسة فإنه يرتد إلى هذا الأصل الثابت الذي يهدي للصراط المستقيم. (منتصر محمود مجاهد، ص: 54).

ثالثًا: مسلمات المنهج:

هناك مسلّمات عديدة ينبغي أخذها بعين الاعتبار، منها: (منتصر محمود مجاهد، ص: 56، 63).

عدم التقليد: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة، آية: 170)، وفي هذا إبطال للتقليد؛ لأن معرفة المتقدّم بالتقليد يلزم الدور أو التسلسل، لأنه يجب على الإنسان أن يطلب العلم بالدليل لا بالتقليد؛ لأن القول بالتقليد يفضي ثبوته إلى نفيه فيكون باطلًا. (الرازي، 1420هـ، ج: 5، ص: 189). وهذا يعني ألا يتقيد الباحث بأقوال سابقة، بل يجب عليه أن يقف موقف الناقد حتى يكون هناك إبداع علمي.

1. عدم اتّباع الظن: قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (سورة الأنعام، آية: 116). أي لا يملكون أن يشيروا برأي ولا بقول ولا بحكم يستند على الحق، أي إنّهم يتركون العلم المستيقن ويتّبعون الظن فلا ينتهوا إلّا إلى الضلال، وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ (سورة النساء، آية: 157)، أي "مالهم به من علم ثابت قطعي، لكنهم يتبعون الظن، أي القرائن التي ترجح بعض الآراء الخلفية". (محمد رشيد رضا، 1990م، ج: 6، ص: 16).
2. عدم اتّباع الهوى: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (سورة الأنعام، آية: 119)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ (سورة النساء، آية: 135). ولا تتّبعوا الهوى "فإنّ اتباع الهوى مُرْدٍ، أي: مُهْلِكٌ"، (القرطبي، 1384هـ 1964م، ج: 5، ص: 413). وألا يعتمّد الباحث على أقوال مجرّدة في النفس كالهوى الذاتي؛ لأن اتباع الهوى إفساد وفساد، قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ (سورة المؤمنون، آية: 71)، وبذلك يجب أن تكون هناك قوامية بالعدل الذي ينفي الهوى الذي يضلّ الإنسان.
3. عدم البغض والكراهية: يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (سورة المائدة، آية: 8). أي إقامة العدل المطلق الذي لا يتأثّر بالقرابة أو المصلحة بأي حال من الأحوال بعيدًا عن المؤثرات، فلا يحملكم الشنآن على أن تميلوا عن العدل.
4. عدم تحريف الكلم عن مواضعه: قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (سورة النساء، آية: 47)، وهو تحريف الكلم عن المقصود به ليوافق الأهواء، ويتّخذونه حرفة وصنعة يوافقون بها أهواء غيرهم. وبالإضافة إلى ذلك: عدم البغي والشقاق في القول بالحق، الإنصاف في القول عند بغي بعضهم على بعض، عدم التبديل في القول، الأمانة العلمية مع العدل بين الناس، عدم الادعاء في حالة تعطيل الحواس المدركة، العدل والقوامة بالقسط والشهادة بالحق، الموضوعية، اتباع الصادقين في قولهم، البرهان أو العلم اليقيني، إسقاط ألوهية ما دون الله تعالى، ألا يخضع الباحث لضغوط، إبطال السحر والتنجيم والشعوذة والخرافات الباطلة، الموقف النقدي من السابق، الاختبار مع العمل، عدم البدء بفروض ملغيه وذلك عند البحث عن الحقيقة، الفصل بين الثابت والمتغير. فهذه هي مسلمات المنهج والتي يجب على الباحث أن يبدأ منها كنقطة انطلاقة للبحث العلمي الصحيح مع وجود

العناصر والأدوات المكملة لقواعد المنهج. وإذا كانت الأمور السابقة مسلمات إلا أنها من الممكن أن تكون عوائق للمنهج، وذلك عندما يأخذ الباحث الطريق العكسي، أي التنحي عن هذه المسلمات ونفيها وعدم الأخذ بها تكون عوائق للمنهج، يضاف إلى ذلك: الطبع والختم على القلب، يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة المطففين، آية: 14). أي أن الله طمس على بصائرهم فأصبحوا لا يعرفون الرشد من الغي. (محمد علي الصابوني، 1417هـ 1997م، ص: 507). وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة البقرة، آية: 7). أي أنه معه هذه الأدوات إلا أنها لم تؤد وظيفتها؛ لأنها استغلت في غير ما خلقت له.

مناهج البحث العلمي في القرآن: من المعلوم أن القرآن الكريم كتاب عقيدة دينية وشريعة إلهية، وهو كتاب علم قد حفل بالآيات التي يدعو الله فيها عباده إلى استخدام مختلف مناهج البحث، لدراسة الظواهر الموجودة في السماوات والأرض، **أولًا** للتعرف إلى عظمة الخالق بمعرفة أسرار المخلوقات ودقة تكوينها وعلل وجودها، **وثانيًا** لكشف حقائق هذه الظواهر والمخلوقات وما ينشأ عنها من العلوم والقوانين التي تحكمها وتسخيرها لخدمة الإنسان ورسالته في هذه الحياة الدنيا. (أبو الحسن الندوي، 1406هـ 1986م، ص: 108، 110). ومناهج البحث هي الطرق التي ينبغي أن يتّبعها الباحث أيًا كان تخصصه العلمي في دراسته للظواهر، وهي طرق اكتساب المعرفة منذ القديم، وقد تطوّرت مناهج البحث بتطوّر المجتمع الإنساني حضاريًا، فكان كل طور منها ينتفع بجهد الطور الذي سبقه ثم يمضي لإحراز تقدم جديد. ومن أسرار الإعجاز القرآني أنّ الآيات فصلت المناهج، وشملت في ذلك العام والخاص في مختلف العلوم، وقد أدرك المسلمون حكمة هذا، فدرسوا الظواهر الكونية دراسةً عامة وبطريقة كلية، ثم درسوا جزئيات كل ظاهرة على حدة، ووضعوا لها العلم الخاص بها. (محمد نجم الحق الندوي، 2016، ص: 138).

إنّ القرآن الكريم يمتلئ بالإشارات إلى حقائق علمية لم يتوصل إليها العلم إلا في العصر الحديث، **ومن أمثلة ذلك:** الإشارة إلى تطور الجنين في بطن أمه، وبصمة الإنسان، والإشارة إلى حركات الأفلاك وأصل نشأة الكون والتفاعل المستمر بين الكائنات وحركات الشمس والقمر والرياح والأمطار والنباتات.

لقد وضع الإسلام -القرآن- الناس عامة والمسلمون خاصة أمام مشاهد الكون المنظور، وشجّعهم على البحث والدراسة لكشف قوانين الكون ومعرفة أسراره، قال تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (سورة العنكبوت، آية: 20). ومن خلال هذه الآية الكريمة يتضح لنا **منهج المعرفة التجريبية** فالأمر بالسير والنظر يقتضي ملاحظة ومشاهدة الظواهر الكونية، ثم يدخل العقل بعد ذلك للإجابة عن السؤال كيف؟ وهو استجواب الطبيعة للإجابة عنه، يقول الله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (سورة الحج، آية: 46). فهذه دعوة إلى استخدام أدوات البحث في كل ما يقع تحت أيدينا ونظرنا من معارف في الوجود. "إذن فلا يوجد أي خطر ديني أن يرتقي الإنسان بالتأمل والفكر إلى معرفة الكثير من حقائق الكون المختلفة، ولا مانع أن يتوصل إلى اكتشاف هذه الحقائق بالحس والمشاهدة". (محمد سعيد رمضان البوطي، 1417هـ، 1997م، ص: 277). هذه إشارة إلى المنهج الذي يكشف به عن السنن الكونية المبثوثة في الكون.

أما مناهج البحث العامة في الآيات: ورد في القرآن الكريم كثير من الآيات التي تبيّن مناهج البحث العامة في الظواهر والمخلوقات، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (سورة البقرة، آية: 164). ويتضح من خلال هذه الآية الكريمة جملة من الظواهر عامة، وكيفية البحث والتأمل فيها، ثم تأتي آيات أخرى تحدّد مناهج البحث الخاصة لكل علم، وتحدّد موضوعه وتطوره وغايته، **منها على سبيل الذكر لا الحصر:**

1. **علم الفلك:** جاء في القرآن الكريم كثير من الآيات المفصلة والدقيقة التي تحدّد موضوعات علم الفلك، وما يتكون منه الكون وما يحيط به من فضاء متّسع لا نهاية له تجري فيه أجرام ونجوم وكواكب. يقول الله تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**﴾ (سورة الفرقان، آية: 61، 62)، وقوله تعالى: ﴿**فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ (سورة الأنعام، آية: 96)، وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا**﴾ (سورة الإسراء، آية: 12)، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (سورة البقرة، آية: 164).

ومن خلال الآيات السابقة يتّضح أن الله خلق السماوات وجعل فيها منافع، وخلق الأرض وجعل فيها منافع للخلق، ثم جعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض لبعد ما بينهما؛ إذ لا منفعة للخلق في منافع إحداهما إلا باتصال منافع الأخرى ... وجعل إحياء الأرض وإخراج ما فيها من النبات من المأكول والمشروب والملبوس بالأمطار؛ فدلّ اتصال منافع أحدهما بالآخر وتعلّقها به على أن منشئهما واحد... وكذلك يدلّ اختلاف الليل والنهار على أنّ خالقهما واحد؛ لأنه لو كان اثنين لكان إذا أتى هذا بالليل منع الآخر بالنهار، وإذا أتى أحدهما بالنهار منع الآخر

بالليل... أنه جعل للخلق في الليل والنهار منافعًا، وجعل بعضها متصلة ببعض متعلقة مع تضادهما، كقوله: ﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**﴾. فدل اتصال منافع أحدهما بالآخر مع اختلافهما وتضادهما أن محدثهما واحد، وفيه دلالة حدوث العالم؛ من تغييرها وزوالها من حال إلى حال. فدل تغييرها وزوالها على إنما حدث زوال مثل هذه الأشياء بابتدائها وعجزها على قدرة مثلها على أن لها محدثًا... وكذلك الحال بالنسبة الليل والنهار، يصير بمجيء الآخر مغلوبًا، وإلا ما احتمل أن يصير مغلوبًا بعد ما كان غالبًا، فدل أن لهما محدثًا، وأنه واحد... وفيه دلالة البعث والحياة بعد الموت؛ لأن الليل يأتي على النهار فيتلفه ويذهب به حتى لا يبقى فيه من أثر النهار شيء، وكذلك النهار يأتي على الليل فيتلفه حتى لا يبقى من أثر الليل شيء. ثم وجد بعد ذلك كل واحد منهما على ما وجد. في النشوء من غير نقصان ولا تفاوت. فدل أنه قادرٌ على إنشاء ما أماته وأتلفه، وإن لم يبق له أثر، على ما قدر من إيجاد ما أتلف، وإنشاء ما أذهب من الليل بالنهار، ومن النهار بالليل، وإن لم يبق له أثر... وفي قوله: (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ)، وفيه دلالة فضل العلوي على السفلي؛ لأن ما ينزل من السماء من الماء ينزل عذبًا، وما يخرج من الأرض يخرج مختلفًا: منه ما هو عذب ومنه ما هو أجاج، ومنه ما هو مرّ. فدل هذا على فضل العلوي على السفلي. (محمد محمود الماتريدي، 1426هـ 2005م، ج:1، 611، 612).

ومنه –أيضًا- قوله تعالى: ﴿**يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ**﴾ (سورة الزمر، آية: 5)، فالتكوير مأخوذة من الكور الذي يدل على دور وتجمع. (ابن فارس القزويني، 1399هـ 1979م، ج: 1، ص: 146). وقوله تعالى: ﴿**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**﴾ (سورة لقمان، آية: 29)، الإيلاج كلمة تَدُلُّ عَلَى دُخُولِ شَيْءٍ، (ابن فارس القزويني، ص: 142). وقوله تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ**﴾ (سورة يس، آية: 37)، انْسَلَخَ النَّهَارُ مِنَ اللَّيْلِ: خَرَجَ مِنْهُ خُرُوجًا لَا يَبْقَى مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ ضَوْئِهِ لِأَن النَّهَارَ مُكَوَّر عَلَى الليل، فإذا زال ضوؤه بَقِيَ اللَّيْلُ غَاسِقًا قَدْ غَشِيَ الناسَ؛ وَقَدْ سَلَخ اللهُ النهارَ مِنَ اللَّيْلِ يَسْلخُه، (ابن منظور، ج: 3، ص: 25). وقوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾ (سورة النمل، آية: 88)، أي يحسب الناس أنها "جامدة، فلأن الأجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة على نهجٍ واحدٍ في السمتِ والكيفيةِ ظنَّ النَّاظر إليها واقفةٌ مع أنها تمرُّ مرًّا حثيثًا" (الرازي، ج: 24، ص: 574). كمر السحاب التي تنتقل محمولة على الرياح. "وهذه الرؤية وحسبان جمود الجبال وثباتها، على مكانها، مع كونها متحركة في الواقع بحركة الأرض، ودوام مرورها مرّ السحاب في سرعة السير والحركة وقوله: ﴿**صنع الله**﴾ من المصادر المؤكدة لنفسها وهو مضمون الجملة السابقة يعني هذا المرور هو صنع الله" (محمد جمال القاسمي، 1418هـ، ج: 7، ص: 509). مع "جعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتي بها على الحكمة والصواب" (الرازي، ج: 24، ص: 574). وهذا ما يقتضيه أمر الدنيا وليس الآخرة. وفيه –أيضًا- هذا الحسبان للجبال وإتقان الصنع ليس من أمر الآخرة؛ لأن في الآخرة لم يكن حسبانًا أبدًا، إنما تكون هناك حقائق ترى فيها كل شيء عين اليقين. وفي الآخرة يكون نسفًا للجبال وتبديلًا للأرض غير الأرض، إذن فقوله تعالى: ﴿**تَحْسَبُهَا جَامِدَةً**﴾ فإن الإنسان وهو أمام هذه الجبال واهم؛ لأنه يظن بأنها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب، فالله سبحانه وتعالى لم يقل من الرياح أو أي لفظ آخر؛ لأن السحاب لا يتحرك بنفسه. بل تدفعه قوة ذاتية وهي قوة الريح التي تحمله من المكان الذي هو فيه إلى مكان آخر. فالله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا إن حركة الجبال ليست ذاتية أنها تتحرك بحركة الأرض كما تحرك الرياح السحاب، ولذا قال تعالى: ﴿**وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾، ولم يقل تسير أو تجري أو تتحرك. فالله سبحانه وتعالى استبعد كل الألفاظ التي تعطي الجبال ذاتية الحركة، أي: أن الذي يتحرك ذاتيًا هي الأرض والجبال، تتبع هذه الحركة وهي تمرّ أمامكم مر السحاب الذي لا يملك ذاتية الحركة. (محمد متولي الشعراوي، 2009، ص: 37، 38). إنما حركته تابعة لدوران الأرض حول الشمس. فهذه "الحركة أو هذا السبح للأرض في الفضاء حول الشمس بهذه السرعة، علاوة على سرعة دورانها حول نفسها، فلم يحس الإنسان في يوم ما وهو على ظهر الأرض بدورانها حول الشمس؟ ولم يصبه الدوار من جراء هذا الدوران الذي يتكرر مرة كل سنة من العمر؟ وبالتالي لم يعرف السر في دوران الأرض حول الشمس كما عرفه علماء الطبيعة والفلك، حيث تدور جميع الكواكب السيارة بما فيها الأرض حول الشمس". (منصور حسب النبي، ص١٥٧). وهذا الدوران يخضع لقانون القدرة الإلهية هو قانون الجاذبية العام.

وقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ (سورة الأنبياء، آية: ٣٣) والشمس والقمر هذه لها نورها يخصها وحركة سير وسير خاص، وهذا بنور آخر وفلك آخر وسير آخر وتقدير آخر، ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾، "أي يدورون قال ابن عباس: يدورون كما يدور المغزل في الفلكة، وقال مجاهد: فلا يدور المغزل إلا بالفلكة، ولا الفلكة إلا بالمغزل، كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون إلا به ولا يدور إلا بهن". (محمد علي الصابوني، 1402هـ 1981م، ج: 2، ص: 507). وكلمة ﴿كُلٌّ﴾ يعني الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار، ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾، أي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء... وقيل: الجري للفلك فنسب إليه... وفلكها مجراها وسرعة مسيرها"، (القرطبي، ج: 11، ص: ٢٨٦). وهذا السير يشمل الشمس وتوابعها كالقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار الذين يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء. (محمد علي الصابوني، 1417هـ 1997م، ج: 2، ص: 239). ثم يأتي بعد ذلك وصف الشمس بالجريان علاوة على السباحة. قال تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ* وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ*لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ (سورة يس، آية: ٣٨، ٤٠)، ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا**﴾ أي: لا قرار لها ولا سكون، بل هي سائرة ليلًا ونهارًا لا تفتر ولا تقف. ﴿**وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ**﴾ أنه لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما بعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ؛ لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلبًا حثيثًا. ﴿**وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾، أي يدورون في فلك السماء، وقال مجاهد: الفلك كحديدة

الرَّحى أو كفلكة المغزل، لا يدور إلا بها ولا تدور إلا به. (محمد علي الصابوني، ج: 2، ص: 164) "فالشمس لها مدار، والقمر له مدار، وكل كوكب له مدار لا يتجاوزه في جريانه أو دورانه، ولا يطغى أحدهما على الآخر، كما قال قتادة: (لكل حدٍّ وعلمٌ لا يعدوه، ولا يقصر دونه)". (محمد الصابوني، ج: 3، ص: 14).

وفي قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾ (سورة الرعد، آية: ٢). وقوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**﴾ (سورة الرحمن، آية: ٧). وهذه العمد غير المرئية لا نستطيع أن ندرك حقيقتها، إنما تكون معرفتنا بها عن طريق النتائج الموضوعية لها، وذلك عن طريق "القوى المتوازنة في انجذاب الأرض نحو الشمس بقوة الجاذبية، وفي الوقت نفسه تتأثر الأرض بقوة مركزية مضادة طاردة نتيجة دورانها حول الشمس، وتتعادل القوتان فتستقر الأرض في المدار المحدَّد لها، دون أن تقع على الشمس أو تفلت منها". (منصور حسب النبي، ص: 240). وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ (سورة آل عمران، آية: ١٩٠) وهذه الآيات وغيرها تدلُّ على أن الله يُدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل بطول ساعات، أحدهما وقصرها في الآخر، وذلك باختلاف فصول السنة واختلاف خط عرض المكان.

كما أن الشروق والغروب الذي عبَّر عنه بالمفرد والمثنى والجمع في آيات مختلفة وكلها صحيحة علميًّا؛ لأن مشرق ومغرب صالحة للمكان الواحد في يوم واحد، والمشارق والمغارب لنفس المكان في أيام مختلفة على مدار السنة أو لأماكن متعددة في اليوم نفسه، وأن مشرقين مغربين هما نهايتا موقعي الشمس في نظر الراصد على الأرض طوال العام. قال تعالى: ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**﴾ (سورة المزمل، آية: ٩). وقوله تعالى: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ**﴾ (سورة المعارج، آية: 40). وقوله: ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ**﴾ (سورة الرحمن، آية: ١٧). فالآيات الثلاثة لا تُلغى أحدهما الأخرى في العطاء. بل إنّ اختلاف المشارق والمغارب يبيّن أن الأرض تدور حول الشمس وأنها كروية أيضًا، لأن الأرض لو كانت مسطحة كان لا بد أن تطلع الشمس من مشرق واحد وتغيب في مغرب واحد، ولا تتعدد المشارق والمغارب للأماكن المختلفة في اليوم الواحد، ولكن كونها كروية، وكونها تدور حول نفسها وحول الشمس هو الذي يجعل هناك مشارق ومغارب بالنسبة لليوم الواحد في أماكن مختلفة أو بالنسبة للمكان الواحد خلال السنة. (منصور حسب النبي، ص: 240)

وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ**﴾ (سورة الحجر، آية: 14). فهذه الآيات التي أنزلها الله على رسوله العربي الأمي الكريم منذ خمسة عشر قرنًا تقريبًا، أثبت العلم الحديث صحتها ودقتها، فالمجموعة الشمسية سائرة بسرعة مليون ميل في اليوم، والكون أعظم وأرحب مما كان يظن علماء الحضارات القديمة، وهو يكبر ويتمدد باستمرار مصداقًا لقوله سبحانه تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ (سورة الذاريات، آية: 47). والشمس تجري حول محورها، والأرض تدور حول نفسها كل يوم وليلة، وغيرها من الظواهر التي اكتشفها العلماء منذ سنوات فقط.

2. **علم الأجنة والطب الحديث:** ومن أبرز العلوم التي أضافها القرآن الكريم، ولم تكن معروفة في العصور الماضية ولم تعرف إلا بعد ظهور الإسلام بقرون علم الأجنة والطب الحديث، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**﴾ (سورة الروم، آية: 20)، ويقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ*ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ*ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ (سورة المؤمنون، آية: 12، 14). وقد أثبت العلم الحديث أن نشأة الإنسان تمر بعدة أطوار وهي: طور النطفة، وطور العلقة، وطور المضغة، وطور العظام، وطور العضلات والكساء باللحم، وطور النشأة والخلق والقابلية للحياة، وطور المخاض. (بديع الزمان سعيد النورسي، 2002م، ص: 65).

وأثبت الطب الحديث وعلم الأجنة أن خلق الإنسان يتم بالترتيب الذي ورد في الآيات السابقة، قد ظهر للعلماء أن تاريخ الإنسان الجيني هو تاريخ الحياة منذ أن بدأت على ظهر الأرض فهو يشبه الحيوان ذا الخلية الواحدة، ثم ذا الخلية المتعددة، ثم يشبه الحيوانات المائية. والحيوانات ذات الثديين وتاريخه هو تاريخ نظرية النشؤ والارتقاء، (ليس المقصود هنا نظرية دارون للنشؤ والارتقاء التي نفت عن الإنسان صفة التكريم التي خصه الله تعالى بها، دون غيره من المخلوقات. فالمقصود هنا بالنشوء والارتقاء هو ارتقاء في خلق الإنسان من طور إلى آخر. فمن (التراب) التي هي أصل الخلق، ومنها خلق سيدنا أدم عليه، ثم الارتقاء من طور النطفة إلى طور العلقة، ثم طور المضغة، ثم إلى طور العضلات والكساء باللحم، ثم طور النشأة والخلق والقابلية للحياة، ثم طور المخاض). ولكن الله جعل الإنسان مخلوقًا متميزًا عن غيره في كل شيء، فقال عزَّ وجل: ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ (سورة المؤمنون، آية: 14). وقد ساعد علم الأجنة في الطب الحديث على تطور فرع آخر من فروع الطب، وهو علم التشريح لأعضاء الجسد البشري الذي أدَّى إلى اكتشاف الكثير من أسراره على أيدي علماء المسلمين أمثال ابن سينا وابن النفيس وابن البيطار وأبو بكر الرازي، وظلت كتب علماء المسلمين في الطب تدرس في جامعات أوروبا حتى أوائل العصر الحديث، وعليها بنى علماء الطب نظرياتهم المعاصرة. (محمد نجم الحق الندوي، ص: 141).

3. **علم الأحياء وتطور المخلوقات:** يشارك الإنسان العيش في هذا الكون مخلوقات أخرى، لكل منها نشأتها وطبيعتها وتكوينها وتطورها وسلوكها، وكل نوع من هذه المخلوقات يكون أمة بذاتها كما ذكر الله في كتابه العزيز تجمع بين أعضائها خصائص خلقية وظيفية وسلوكية واحدة. وقد خلقها الله تعالى بواسع علمه وحكمته لتسهم في تعمير الكون، مثلما يعمل الإنسان، ولكنها مسيرة بالغرائز التي

جبلها الله عليها. فعلم الأحياء يبحث في أجناس هذه المخلوقات وتطورها، يقول الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**﴾ (سورة النور، آية:45)، ويقول تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾ (سورة الأنعام، آية: 38)، وقوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُون**﴾ (سورة النحل، آية:68)، وكذا الحال مع النبات بأنواعه المختلفة. فهذه المخلوقات الحية على اختلافها تشمل الأسماك والطيور والحشرات والأنعام بأنواعها من إبل وخيل وحمير وبغال وغيرها، بالإضافة إلى النباتات، قد ألهمها الله بالغريزة كيف تسعى إلى الحصول على رزقها، وكيف تُعنى تغذية صغارها وتربيتها والدفاع عنها، يقول تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِين**﴾ (سورة هود، آية:6).

ونستطيع القول: إنّ لكل من هذه المخلوقات نظام دقيق تتبعه كما في الآيات السابقة، فالطيور أثناء أسفارها نظام للقيادة ولها لغاتها ومنطقها الذي يتم التفاهم به بين أفرادها في حالات الهدوء والدعة وإبان الخطر الذي قد يهددها، وكل ذلك يندرج تحت علم الأحياء الحديث الذي وضع أصوله ومناهجه القرآن الكريم.

4. **علم الجغرافية والظواهر الطبيعية**: يتعرض الإنسان والمخلوقات الأخرى في البر والبحر وفي الأقاليم المختلفة على الكرة الأرضية لظواهر طبيعية وتقلبات الطقس في فصول السنة الأربعة _الربيع والصيف والخريف والشتاء_ كالرياح والأمطار وارتفاع درجات الحرارة وانخفاضها، كما تحدث العواصف العاتية والأعاصير المدمرة، وتقع الصواعق المحرقة وتهطل الأمطار الغزيرة التي تسبب الفيضانات المغرقة. وقد وجّه الله انتباه الإنسان إلى هذه الظواهر، ودعاه إلى دراستها كي يستفيد منها ويتجنب أضرارها، ويعمل على تسخيرها لخدمة حياته وتلبية احتياجاته، يقول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَار**﴾ (سورة النور، آية: 43). ثم يصف الله العلي القدير تقلّبات الطقس في البحار والمحيطات وما يعتريها من رياح شديدة وأعاصير عاتية، فيقول تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ* إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُور**﴾ (سورة الشورى، آية: 32، 33)، كما أشار القرآن إلى دوران الأرض، وانسلاخ النهار، وجاذبية الأرض واهتزازات التربة والحديد، وكروية الأرض، وطبقاتها والجبال والرياح والسحاب والشمس والقمر والمطر والحواجز المائية بين البحار والأنهار، وظلمات البحار وحركات الأمواج ومحتويات البحار من الحيوانات المائية كالمرجان والأسماك واللؤلؤ.

وقد أقبل علماء المسلمين على دراسة هذه الظواهر وتفوقوا على السابقين، وكانت دراستهم على أسس المنهج العلمي الذي يعتمد المشاهدة والحس والتجربة، ووضعوا الكتب في هذا العلم، **ومن هؤلاء**: الإدريسي وياقوت الحموي، والمقدسي، وأبو الفداء، والبيروني.

- **أثر النهضة العلمية الإسلامية في تطوير مناهج العلوم الحديثة:** لقد اعترف العلماء وبخاصة العلماء الغربيون منهم أنّ العلوم ومناهج البحث جمدت في الحضارات القديمة، ولم يحدث فيها أي جديد أو تطور منذ العصور الوسطى وحتى أوائل عصر النهضة الحديثة في أوروبا، كما اعترفوا بأن النهضة العلمية التي تحققت في ظل الحضارة الإسلامية هي التي فتحت الطرق أمام العلوم ومناهج البحث الحديثة، ويقول أحد هؤلاء العلماء: "تبقى الحقيقة وهي أن العلم العربي قد أسهم بقدر كبير في المعرفة العلمية والمنهجية والرياضية للتطور إلى ما يمكن أن نسميه العلم العالمي الحديث". (توفيق يوسف الواعي، 1988م، ص: 94). ويقول فؤاد زكريا -في كتابه التفكير العلمي- : **"وهذا العلم الإسلامي الذي ارتكز على دعائم قوية من المنهج التجريبي، ومن الحقائق الرياضية الدقيقة كان واحد من أهم العوامل التي أدّت إلى ظهور النهضة الأوروبية الحديثة".** (فؤاد زكريا، 1988م، ص: 162). إنّ من أعظم ما يمكن أن يفخر به العلم الإسلامي في عصر ازدهاره هو أنه أضاف بالتدريج إلى مفهوم العلم معنى جديدًا هو استخدام العلم في كشف أسرار العالم الطبيعي وقهر الإنسان للمادة والسيطرة عليها، واستخدم المسلمون أساليب مختلفة لحل المشكلات الطبيعية التي تواجه الإنسان، وبرعوا في علوم المادة بكل أنواعها. (محمد نجم الحق الندوي، ص: 144). ويذهب مؤلف موسوعة (بناء الإنسانية) بريفولت إلى أبعد من ذلك في تقويم أثر العلماء المسلمين في العلوم الحديثة، فيقول: **"إنّ ما يدين به علمنا لعلم العرب، ليس بما قدّموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا، إنه يدين لها بوجوده نفسه".** (محمد إقبال، ص: 215).

وإذا كان علماء الإسلام قد نجحوا في تقديم كل هذه الابتكارات العلمية إلى العلم المعاصر، فذلك يرجع في الأصل إلى أنهم درسوا في جامعة الإسلام الخالدة، وهو القرآن الحكيم الذي يقول الله عنه في محكم آياته: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَاب**﴾ (سورة ص: آية: 29). وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرا**﴾ (سورة الإسراء، آية: 9)، وهذه هي التأثيرات القرآنية التي يقوم بها صرحُ مناهج العلوم الحديثة اعترف بها أعداء الإسلام أيضًا، ومن سوء حظنا نحن المسلمين أننا تخلفنا عن التدبّر والتأمّل في القرآن.

وهناك طائفة من العلماء غير المسلمين قد أنصفوا العرب واعترفوا بفضلهم على الغرب، من ذلك صاحب كتاب: (لمحات من تاريخ العالم)، إذ يقول: **"إنّ العرب المسلمين كانوا بحق آباء العلم الحديث، وإنّ بغداد تفوقت على العواصم الأوربية، عدا قرطبة عاصمة إسبانيا العربية، و إنه كان لا بد من وجود ابن الهيثم، و ابن سينا، والخوارزمي، والبيروني لكي يظهر جاليليو ونيوتن وغيرهم"**. (الملا أحمد علي، 1996م، ص: 115، 116). إنّ حضارة الإسلام كما أكد كثير من الباحثين في الشرق والغرب هي حضارة الوحدة والتنوع، هذا التنوع يصوّر لنا الجهود العملاقة التي بذلها المسلمون في إطار يجمع بين الظاهر والباطن والحضور والغياب، والطبيعة وما وراء الطبيعة والمادة والروح.

الخاتمة:

1. لقد أعلى القرآن من منزلة العقل الذي لا تخفى أهميته في بناء صرح العلم، وخاطب الناس في أكثر من موضع بصيغة ﴿**أَفَلَا يَعْقِلُونَ**﴾، ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ**﴾، ﴿**أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾. بل إن القرآن وضع أسس منهج علمي عندما حث قارئيه على المشاهدة والملاحظة، ودعانا في أكثر من موضع إلى التأمل واكتشاف سنن الكون (قوانينه) والعمل بها كيلا يكون مصيرنا كمصير الأمم السالفة.
2. من الخطأ أن يُظنَّ أن العلم المحمودَ هو دراسة الفقه والتفسير وما شابه ذلك... وأن ما وراءها فهو نافلة يؤدّيها من شاء تطوُّعًا أو يتركها، وليس عليه من حرج! هذا خطأ كبير؛ فإن علومَ الكون والحياة، ونتائج البحثِ المتواصل في ملكوت السماء والأرض في زماننا هذا، لا تقلُّ خطرًا عن علوم الدين المحضة، وحسبنا أن نعلمَ أن الإعداد للعدو يتطلَّب معرفةَ كل سلاح، وهذا لا يتأتَّى إلا إذا نفَرت طائفةٌ من المسلمين تتفقَّهُ في العلوم الكونية.
3. لم يحضَّ الإسلامُ أتباعَه على العلم وهم مكتوفو الأيدي، بل هيَّأ لهم الحريةَ الفكرية، التي لولاها لَمَا كانت هذه الأعدادُ الكبيرة من العلماء، المسلمين منهم وغير المسلمين في شتى فروع المعرفة.
4. المنهج الأمثل المتميّز الذي أتى به القرآنُ الكريم وحققتْه السنَّة المشرفة، ويشمل هذا المنهجُ فيما يشمل على صفات ينبغي التحلي بها منها: (الصدقَ والأمانة في القول والعمل مع التواضع الجمّ)، و(التحقُّق من المعلومة قبل تدوينها)، و(البعد عن التقليد الأعمى)، و(الرجوع إلى أهل الاختصاص عند الحاجة). فهذه الصفات يتحلَّى بها أتباع هذا الدين الإسلامي.
5. أخيرًا نودُّ أن نشير إلى أمر مهم بالنسبة لطلاب العلوم الكونية، وهو أن كثيرًا من الآياتِ الكونية تنتهي بالفعل: (يعلم)، أو بالفعل: (يعقل)، أو بالفعل: (يفكر)، أو بالفعل: (يذكر)، أو بمشتقاتها؛ أي: بالأفعال التي هي مناط التفكير، مناط العقل: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ** ﴾ (سورة الأنعام، آية: 97- 98).

والحمد لله رب العالمين...

المراجع نظام APA

- **القرآن الكريم**

الكتب:

- أحمد فؤاد باشا، (ديسمبر، 2019م). **المنهج المعاصر في ضوء القرآن الكريم**. (مجلة الحوار اليوم).
- أسامة علي محمد سليمان، (1422ه) **شرح صحيح البخاري**. ط: 1، (دار طوق النجاة).
- أبو الأشبال حسن الزهيري، (...) **شرح صحيح مسلم**. ط: 1(دار إحياء التراث العربي، بيروت).
- أبو الحسن الندوي، (1406ه 1986م). **الإسلام و أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية**. ط: 1. (دار الصحوة للنشر، القاهرة).
- الألوسي، (1415ه)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط: 1. دار الكتب العلمية – بيروت
- الإمام الشافعي (1419ه- 1999م). **الفقه الأكبر**، إعداد: محمد محمود فرغلي. ط: 1. (مكتبة الفرقان - الإمارات العربية).
- البخاري، (1422ه). **صحيح البخاري**. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط:1. (دار طوق النجاة).
- بديع الزمان سعيد النورسي، (2002م). **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**. تحقيق: إحسان قاسم الصالحي. ط: 3. (شركة سوزلر، القاهرة).
- أبو بكر بن أبي شيبة، (1997م). **مسند ابن أبي شيبة**. تحقيق: عادل يوسف العزازي وأحمد فريد المزيدي. ط: 1. (دار الوطن، الرياض).
- أبو بكر بن أبي شيبة، (1409ه). **المصنف في الأحاديث والآثار**. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط: 1. (مكتبة الرشد، الرياض).
- بليل عبد الكريم (2009)، مقال بعنوان: (مصادر المعرفة في القرآن الكريم)، الألوكة.
- توفيق يوسف الواعي، (1988م). **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية**. (دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة).
- الخازن، (1415ه). **لباب التأويل في معاني التنزيل**. تصحيح: محمد علي شاهين. ط: 1. (دار الكتب العلمية، بيروت).
- الرازي، (1420ه). **مفتاح الغيب (التفسير الكبير)**. ط: 3. (دار إحياء التراث العربي، بيروت).
- الزركشي، (1376ه 1957م). **البرهان في علوم القرآن**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: 1. (در المعرفة، بيروت، لبنان).

- الزمخشري، (1407ه). **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. ط: 3. (دار الكتاب العربي، بيروت).
- السعدي، (1420ه 2000 م). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط: 1، (مؤسسة الرسالة).
- الشافعي، (1358ه1940م). **الرسالة**. تحقيق: أحمد شاكر. ط: 1. (مكتبه الحلبي، مصر).
- صلاح قنصوة، (1987م). **فلسفة العلم**. (دار الثقافة للنشر والتوزيع).
- عبد العليم عبد الرحمن خضر، (...). **المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن**. ط: 1. (دار السعودية للنشر والتوزيع).
- عبد الفتاح الديدى، (1987م). **فلسفة الجمال**. (دار المعارف، مصر).
- عبد الرحمن بدوي، (1963م). **مناهج البحث العلمي**. (دار النهضة العربية).
- العقاد، (2002م). **التفكير فريضة إسلامية**. (دار الهلال، الإسكندرية).
- علي محمد الحنفي، (1982م). **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. (مكتبة الكليات الأزهرية).
- الغزالي، (...). **إحياء علوم الدين**. (دار المعرفة، بيروت).
- فؤاد زكريا، (1988م). **التفكير العلمي**. ط: 3. (سلسلة عالم المعرفة، 3، الكويت).
- قدري حافظ طوقان، (1990). **علماء العرب وما أعطوه للحضارة**. (منشورات الفاخرية، الرياض، ودار الكاتب العربي، بيروت).
- القرطبي، (1384ه 1964م). **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**. تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش. ط: 2. (دار الكتب المصرية، القاهرة).
- ابن القيم، (...). **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**. تحقيق: محمد حامد الفقي. (مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية).
- ابن كثير، (1419م). **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. ط: 1. (دار الكتب العلمية، بيروت).
- لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجة. (2022) مقال بعنوان: (صون العقل). صيد الفوائد.
- محمد إقبال، (2011م). **تجديد التفكير الديني في الإسلام**. ترجمة: محمد يوسف عدس. (دار الكتاب اللبناني، بيروت).
- محمد سعيد رمضان البوطي، (1417ه، 1997م). **كبرى اليقينيات الكونية (ودود الخالق ووظيفة المخلوق)**. ط: 2. (دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سورية).
- محمد رشيد رضا، (1990م). **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب).
- محمد بن صامل السلمي، (1988م). **منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه**. (دار الوفاء للطباعة والنشر).
- محمد متولي الشعراوى، (2009). **المختصر المختار من تفسير الشعراوي للقران العظيم من الخواطر**. تحقيق: اعداد فريد إبراهيم. ط: 1. (دار الروضة).
- محمد علي الصابوني، (1402ه 1981م). **مختصر تفسير ابن كثير**، (اختصار وتحقيق). ط:7. (دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان).
- محمد علي الصابوني، (1417ه 1997م). **صفوة التفاسير**. ط: 1. (دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة).
- محمد محمود الماتريدي، (1426ه 2005م). **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**. تحقيق: مجدي باسلوم. ط: 1. (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان).
- محمد نجم الحق الندوي، (2016م). **أثر القرآن الكريم في تطور العلوم الحديثة**. ع: 2. (مجلة العلوم الإسلامية والحضارة).
- الملا أحمد علي، (1996م). **أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية**. (دار الفكر، دمشق).
- منتصر محمود مجاهد، (1417ه، 1996م). **أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية**. ط: 1. (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة).
- منصور حسب النبي، (1991م). **الكون والإعجاز العلمي للقرآن**. ط: 2. (دار الفكر العربي).
- وحيد الدين خان، (1405ه 1984م). **قضية البعث الإسلامي (المنهج والشروط)**. ترجمة: محسن عثمان الندوي. مراجعة: عبد الحليم عويس. ط: 1. (دار الصحوة للنشر والتوزيع).

الكتب المترجمة:

- توبي أ. هاف، (...). **فجر العلم الحديث: الإسلام والغرب**. ترجمة: أحمد محمود صبحي. (سلسلة عالم المعرفة، رقك 219، الكويت).
- روبرت م. أغروسي، وجورج ن سنسانسيو، (1989م). **العلم في منظوره الجديد**. ترجمة: كمال خلايلي. (سلسلة كتب عالم المعرفة، 134، الكويت).
- كرين برنتن، (1965م). **أفكار ورجال قصة الفكر الغربي**. ترجمة: محمود محمود. (مؤسسة هنداوي للنشر).

المعاجم:

- ابن فارس القزويني، (1399ه 1979م). **مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون. (دار الفكر).
- **مجمع اللغة العربية**، (1983م). المعجم الفلسفي.
- ابن منظور، (1414ه). **لسان العرب**. ط: 3. (دار صادر، بيروت).
- لويس معلوف، (...). **المنجد في اللغة**. ط: 19. (المطبعة الكاثوليكية، بيروت).